حكايات من القرآن

الجزء الأول

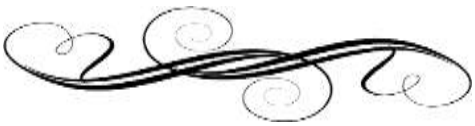

د. مصطفى فاضل الخولي

الطبعة الأولى ٢٠٢٢

ديـوان العـرب للنشـر والتـوزيع

التصنيف الأدبي: قصص من القرآن
عنوان الكتاب: حكايات من القرآن
اســـم المـؤلف: د. مصطفى فاضل الخولي
رقـم الإيـــداع: 10009 / 2022
الترقيـم الدولي: 978 – 977 - 998 - 400 - 1

التدقيـق اللغوي: د. هبة ماردين
تـصـميـم الغلاف: محمـد وجيـه
التنسيق الداخلي: محمد وجـيـه
رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى
المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد
تليفون: 00201211132879 – 00201030502390
بريد الدار: mohamedhamdy217217@gmail.com

حكايات من القرآن

الجزء الأول

د . مصطفى فاضل الخولي

ديوان العرب للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كل مؤمن وقر في قلبه وأيقن أن لهذا الكون رباً... إلهاً واحداً.. لا إله إلا هو... مالك الملك ومدبر الأمر... بيده الأمر كله... وإليه يعود الأمر كله عزيز حكيم... حي قيوم... لا إله إلا هو سبحانه... لا يُسأل عما يفعل... الملك ملكه... والأمر أمره.

إلى كل قلب هذا حاله، أهدي هذا العمل (حكايات من القرآن).

د. مصطفى الخولي

****

نبي اللّه أيــوب

رجلان يسيران متجهين إلى خارج حدود البلدة.... تلك رحلتهما المعتادة بين وقت وآخر لزيارة مريض.... لكنه مريض غير عادي... إنه صديقهما نبي الله أيوب الذي ابتلاه الله ذلك البلاء الشديد... لقد آمنا برسالته، وكان صديقهما وأخاهما سنوات طوال...

قال أحدهما للآخر: ربما تكون هذه هي آخر زيارة لنا لأيوب.

– نعم... نقطع مسافة طويلة لمُر لا تلوح له نهاية.

– ثمانية عشر عاماً وهو مريض يعاني ونحن نعوده بين وقت وآخر... ولكن يبدو أنه لا شفاء له من هذا المرض اللعين.

– أعتقد أن أيوب قد أذنب ذنباً عظيماً حتى يبتليه الله بهذا الابتلاء.

– لم يتحمل أهل البلدة منظره وقد تساقط جلد جسده وغطته الثآليل والقروح التي يرتع فيها الدود وأصبح طريح الأرض لا يقوى على أن يحرك يديه أو قدميه.

– فقرر أهل بلدته أن يخرجوه من البلدة إلى مكان بعيد خارج حدودها حيث يقطن عريشه هناك لا يراه ولا يزوره أحد إلا امرأته رحمة، التي لم تفارقه لحظة... فهي ترعاه وتؤنس وحشته وتقوم على خدمته... تذهب كل يوم تسأل الناس الصدقة.... أو تقوم بخدمة بيوتهم لتعود في نهاية اليوم بما يقوّتها ويقوت ذلك المريض المسجى هناك.

– إنها زوجته فهي معه في السراء والضراء... فما هو ذنبنا نحن أن نقاسي معها... فنقطع كل هذه المسافة.

– نحن صديقاه... آمنا برب أيوب وصدقنا رسالة التوحيد التي جاء بها... وكنا معه في زمن رخائه وثرائه وعافيته... فكيف نتنكر له الآن...

– لم نتنكر... ثمانية عشر عاماً ونحن نعوده...

– إذا كان هناك نهاية مرتقبة للأمور لانتظرنا وصبرنا... ولكن يبدو أن أيوب قد أذنب ذنباً لم يُغتفر فقلاه ربه ولم يرحمه ويشفيه... إذاً فكما اتفقنا قد تكون هذه هي آخر زيارة لنا له...

وبينما هما يسيران يتجاذبان أطراف الحديث وعند هذه النقطة وقد قررا أن تكون هذه هي آخر زيارة وأن أيوب قد أذنب ذنباً كبيراً بحيث لن ينال رحمة الله ولن يشفى من هذا المرض.

إذا برجل يعترض طريقهما فجأة.

إنه إبليس لعنة الله عليه... يريد أن يصل إلى أيوب بأية طريقة فيجعله ييأس من رحمة الله أو يغفل ولو لحظة عن ذكر الله والتسبيح بحمده...

يكاد إبليس اللعين يتفطر غيظاً وحسرةً... كان يرى أيوب أيام رخائه وماله وولده وصحته لا يفتر عن شكر الله وحمده وأداء حق الله فيما وهبه الله له...

كان أيوب وقتها رحيماً بالمساكين... يكفل الأرامل والأيتام... يكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل...

لطالما حاول إبليس أن يوسوس إلى أيوب ليدخل إلى قلبه ما يعتلج ويسطو على قلوب الأغنياء والموسرين من غرور وكبر وغفلة وتشاغل وسهو.... لكنه أبداً لم يستطع ذلك...

نجا أيوب بفضل ربه وإنعامه عليه من وسوسة إبليس ومحاولاته...

وحين كان هذا اللعين يسترق السمع من السماء كان يستمع إلى ثناء تتناقله الملائكة لأيوب وصلاة لهم عليه فيدركه البغي والحسد عندما يسمع ذلك...

حتى قال ذات يوم إنّ أيوب عبدٌ أنعم الله عليه بنعم كثيرة ومِنن عظيمة فحمد ربه وشكر له... لكنه لم يُختبر بشدة ولم يتعرض لبلاء... ولئن ناله بلاء وشدة... فلربما تغير سلوكه فضجر وسخط ولم يتحمل ولم يصبر ونسي ذكر ربه وكفر بأنعمه... ولمّا كان لله سبحانه في خلقه شؤون ولما كان له في كل قدر حكمة أدركها خلقه أو لم يدركوها؛ أصيب أيوب بعدد من الابتلاءات المتتالية... لتكون بعد ذلك أسطورة صبر وتحمل ويصبح أيوب مثلاً يروى للعالمين على مر الزمان فيكون عبرة للصابرين وذكرى للعابدين...

ابتلى أيوب في ماله وكان صاحب أعداد لا تحصى ولا تعد من الإبل والغنم والخيول والحمير... أصابتها جميعاً صاعقة من السماء فهلكت كلها... ففرح إبليس واستبشر وجاء إلى أيوب وهو قائم يصلي في محرابه في صورة راعٍ يخبره بهلاك كل ما يمتلك من الأنعام، وانتظر أن يرى على وجه أيوب

السخط والجزع... إلا أنّ أيوب صبر ولم يضجر ولم يُبدِ سخطاً، بل قال له: الحمد لله... هي مال الله... أعارنيه وهو الآن يسترد عاريته... الله أولى بها إن شاء تركها وإن شاء أخذها... وقد تحققت أنا من ذلك وطيبت نفسي أنا ومالي للفناء والزوال...

عاد إبليس خائباً خاسراً ككل مرة يحاول فيها مع نبي الله أيوب... فانتظر وهو يُمنّي النفس أن يصاب أيوب بابتلاء آخر...

وكان قدر الله أن جاء الابتلاء التالي لأيوب، حيث هبت ريح عاصف أهلكت زروعه وبساتينه فلم يتبقَّ فيها شيء، وصارت كأن لم تكن...

ففرح إبليس اللعين واستبشر وتنكر في صورة رجل قصد أيوب وهو في محرابه يصلي؛ فأخبره خبر هلاك زروعه وقال في خبث: شمت بك الأعداء...

وقال أُناس منهم: ما كان أيوب يعبد شيئاً أرأيتم ما صنع رب أيوب الذي اختاره وعبده بزرع أيوب وحرثه إن أيوب لفي غرور...

لقد شمت بك العدو... وفجع فيك الصديق... لم يتغير وجه أيوب ولم يمتعض ولم يظهر عليه أي أثر لضجر أو سخط لكنه قال: الحمد لله الذي أعطاني ولو شاء نزع مني... عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى القبر وعرياناً أحشر إلى ربي.

فعاد إبليس خاسراً خاسئاً لا يدري ماذا يفعل... وقال ما لأيوب كلما هلك له مال حمد الله وأثنى الثناء عليه ورضي بالقضاء ووطن نفسه بالصبر.

وتمنى إبليس اللعين أن يكون البلاء أشد... حقاً إن هلاك المال هي مصيبة ومحنة لا يصبر عليها الرجال... ولكن أيوب نبي وتقبل ذلك بجلد وإيمان شديد.

وكان ابتلاء أيوب بعد ذلك عظيماً، فهل يا ترى يتحمله وقد احترق قصره وتهدم؛ فسقطت الأسقف وتهدمت الجدران وسقطت فوق أولاده الذين كانوا بداخله فماتوا جميعاً، وأصبح القصر المنيف أثراً بعد عين... حطاماً يحوي داخله جثث أولاده المحترقة والممثل بها أثر سقوط الأسقف والجدران والأحجار عليهم...

فاستبشر إبليس اللعين وقال: هذه لن يقدر عليها أيوب... إنها الفتنة المضلة والمصيبة التي لا تتحملها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم... فجاء إلى أيوب وهو في محرابه يصلي في صورة رجل وأخبره بالخبر المشؤوم وأخذ يصف بالتفصيل ما حدث وكيف قلب القصر بأولاد أيوب، فسالت دماؤهم وشقت بطونهم وتناثرت أشلاؤهم وقال بخبثه المعهود: لو رأيتهم يا أيوب لتقطع قلبك ألماً عليهم... وما زال يردد ذلك حتى رق قلب أيوب وانفطر وبكى، ثم قبض قبضة من تراب الأرض فوضعها فوق رأسه... فوجد إبليس اللعين أن الفرصة قد حانت وأن صبر أيوب وتحمله سوف ينفد، وأن قدرته على التحمل سوف تضعف أو تزول... ولكنه وككل مرة ما لبث أن عاد خائباً خاسراً... إذا في الحال أبصر أيوب فذكر فاستغفر فشكر فحملت الملائكة ذكر وشكر واستغفار أيوب إلى الله سبحانه وتعالى...

وإذا كان لبعض الناس آراء في تقسيم المصائب والابتلاءات فقد يقول قائل طالما لم يبتلِ أيوب في نفسه وجسده فإن ما يصيبه من الألم من الممكن تداركه فعافيته وجهده تعود الثروة والمال والأنعام والحرث... وأما الولد فسوف يعوضه الله بفضله بدلاً عن ما فقد منهم... ولكن الابتلاء في النفس والجسد أقصى إيلاماً وأشد وطأة... ولقد كان الابتلاء العظيم والذي سر له كثيراً إبليس اللعين هو ابتلاء أيوب في جسده... فلقد أصابه مرض جلدي يتساقط معه جلده ويعم جسده حكة شديدة لا تهدأ ولو أخذ يحكها بأظافره أو بقماش من خشن أو حتى بصخرة...

أخذت الجروح والقروح والثآليل تعم جسد ضعيف أنهك وأسجى لا يستطيع أن يحرك يديه أو قدميه ويحتاج لعناية وساعده لم تبخل بها عليه يوماً زوجته رحمة.

وكعادة إبليس اللعين حاول أن يستغل مرض أيوب فذهب يوسوس إليه... يحاول معه أن يسخط أو يقنط أو يجاهر بكلمة تغضب الله... وكأنما حصن الله قلب وعقل ولسان أيوب فقلبه يملؤه الإيمان والتوحيد وإرجاع الأمر كله لله... وعقله يعلم جيداً أن ابتلاء الله ما هو إلا أمر دنيوي طال أو قصر وأن الآخرة خيرٌ وأبقى، ولسانه مازال يلهج بذكر الله ففيه السكينة وفيه السلوى وفيه ما يهون عليه مصائب وابتلاءات الدنيا... حاول إبليس اللعين أن يقتحم حصن عقل وقلب ولسان أيوب مرات ومرات فلم يفلح...

جمع إبليس عفاريت الشياطين وعظماءهم وسألهم النصح والمشورة... فرغم ما به أيوب من مرض لا تقوى على حمله الجبال إلا أنه استعصى على كل أنواع الوسوسة ومحاولات التيئيس من رحمة الله والرضا بقضائه فأشاروا عليه أن يحاول مع من بقي حول أيوب من الأهل والأصدقاء؛ فنظروا فلم يجدوا أحداً مازال يزور أيوب ويعوده إلا صديقين له يأتيان بين الحين والحين... نعم فليأتِ أيوب من جهتهما وأشاروا عليه أيضاً أن يأتيه من ناحية زوجته فقد أعياها العناية به وأنهك قواها رعايته... وأذلها سؤالها الناس أن تقوم بالخدمة عندهم حتى تستطيع أن تحصل ما تطعم به هذا المريض... أو تمد يدها إليهم تسألهم الصدقة...

إذاً اعترض إبليس اللعين الرجلين وهما سائران يقصدان أيوب... وسمع حديثهما وقولهما إن أيوب قد أذنب ذنباً عظيماً لم يغفره له ربه فلم يرحمه ويبرؤه مما يعاني فأخذ يحادثهما وقال لهما في ثوب الناصح الأمين... مسكين صاحبكما أيوب... ولكن لكل داء دواء... أعلم جيداً دواءً سوف يشفى إذا شربه... أعطوه زجاجة من خمر من دياركم وحاولا أن تقنعاه أن يشرب منها... وسوف ترون أنه سيشفى من مرضه ويذهب عنه ما يعاني منذ سنوات وقاسمهما إنه لهما من الناصحين فنظر الرجلان إلى بعضهما وقد بدا أنهما اقتنعا بما قال... وقررا أن يقفلا عائدين إلى ديارهما ليحضرا زجاجة الخمر لأيوب فيقدمانها له ليشربها ولعله يشفى.

فلما رآهما اللعين إبليس يفعلان ذلك استبشر وتمنى أن تفلح خطته هذه المرة... ولكي يكمل تنفيذ تلك المشورة التي استقر عليها رأيه ورأى أعوانه من الشياطين.

ذهب ليبحث عن رحمة زوجة أيوب ليوسوس لها هي أيضاً ويحاول إقناعها أن تساهم بإيقاظ روح القنوط واليأس من رحمة الله في نفس أيوب...

كان الإعياء والتعب الجسدي والنفسي قد بلغ برحمة زوجة أيوب كل مبلغ... ثمانية عشر عاماً ترعى ذلك المريض الذي عافه أهله وأرحامه، ثم أمروه أن يخرج من البلدة حتى لا يؤذي منظر قروحه وجروحه عيونهم، ولا أن تؤذي رائحة تلك الجروح أنوفهم... فكانت معه تعيش في عريشة خارج البلدة... تقوم على رعايته وخدمته... ثم تذهب إلى البلدة تطلب الصدقة كي تعود بها برغيف أو أقل أو أكثر لتقتات منه هي وزوجها المسجى هناك... وحين أعياها سؤال الناس الصدقة كانت تخدم في بيوتهم وحين تعود منهمكة متبعة تقول لأيوب وهي باكية ادعُ ربك يرحمك ويرحمنا... لنا في هذا الابتلاء الصعب ثمانية عشر سنة... فيقول لها أيوب: والله ما عدلت أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والصحة والولد.. من أنعم به علينا؟ قالت: الله... قال: فكم متعنا بها... قالت: ثمانين سنة... قال: ومنذ متى ابتلانا الله بهذا البلاء الذي نحن فيه... قالت: ثمانية عشر سنة... قال: إذاً فإنك والله ما عدلت ولا أنصفت... فسكتت ولم تفاتحه ثانية إلا أنها اليوم في كرب عظيم؛ فلقد مرت على بيوت البلدة تسألهم عملاً فردوها... فأسقط

في يدها ماذا تفعل إلا أن سيدة من السيدات الأغنياء ساومتها أن تجز لها رحمة من شعرها ضفيرة مقابل أن تعطيها بعضاً من طعام؛ ففعلت وحمدت الله أن وجدت قوت اليوم... وفي اليوم التالي فعلت نفس الشيء فباعت الضفيرة الثانية ورجعت بالطعام وهي تفكر إلى متى سيدوم هذا الحال... لقد تعبت وأرهقت وكاد صبرها ينفد...

وظن إبليس اللعين أنه حانت اللحظة التي يضغط فيها على رحمة فاعترض طريقها وهي عائدة إلى زوجها أيوب، وكان في هيئة رجل... فسألها عن مقصدها فقالت: إلى زوجي أيوب هذا المبتلى المريض القابع هناك في عريشة خارج البلدة...

فاستخدم اللعين خبثه وأخذ يوسوس لها يذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال وشباب أيوب وما صار عليه الآن وفي نهاية حديثه قال: هذا الذي يدعي أنه نبي... فهل يا ترى إذا كان نبياً حقاً فهل يتركه ربه من هذا البلاء... ثم قال لها يزعزع إيمانها: اسأليه أن يسأل ربه أن يشفيه فإذا كان نبياً حقاً كما يدعي فسوف نرى هل يستجيب له ربه أم لا...!

وحين عادت رحمة إلى أيوب بادرته بقولها: يا أيوب إلى متى نظل على هذا البلاء... يا أيوب... أين المال؟ أين الماشية؟... أين الولد؟... أين الصديق؟... أين ثوبك الحسن؟... أين جسمك الحسن؟... انظر... لقد تغير كل شيء... انظر ها هو جسدك يرعى به الدود... فتغير وجه أيوب... وقال جاءك عدو الله إبليس... لقد اعترضك فأجبته... والله لئن شفاني الله بفضله ورحمته...

لأضربنك مائة ضربة... اغربي عن وجهي... طعامك وشرابك الذي تأتيني به عليَّ حرام... اغربي عن وجهي فلا أراك، فطردها... وبينما هي مغادرة لاحظ عليها أيوب أمراً فأمرها أن تكشف عن رأسها... فلما رأى شعرها مجزوزاً وعلم أنها باعته لتأتي له برغيف أو طعام... تأثر أيما تأثر ثم إنها انطلقت ذاهبة عنه حتى يهدأ قليلاً...

وفي أثناء ذلك كان الصديقان قد ذهبا إلى ديارهما وأحضرا زجاجة الخمر وعادا بها يقصدان أيوب ويرجوان أن يطيعهما فيشرب من الخمر كما نصحهما ذلك الرجل الذي اعترض طريقهما حتى يبرأ مما هو فيه من كرب وابتلاء فأتيا أيوب... وحدثاه... وكان بينهما وبينه مسافة حتى لا يتأذيا من منظر جلده ولا من رائحته، فقال أحدهما لصاحبه على مسمع من أيوب... إن له في البلاء ثمانية عشر عاماً... لماذا لم يرحمه ربه ويكشف ما به... والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحدٌ من العالمين... فلما سمع أيوب حديثهما قال: لا أدري ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم ما كان عليه حالي؛ فصمت الرجلان... ثم تقدم أحدهما إليه بزجاجة الخمر وطلب منه أن يشرب منها ليبرأ ويشفى، وأخبره أن رجلاً صالحاً اعترضهما وأشار عليهما بذلك... رفض أيوب أن يتذوق الخمر... وقال: هذا الذي اعترضكما هو إبليس عدو الله فاستجبتما له... فغادره الرجلان تاركين في نفسه أثراً آخر أشد قسوة من المرض الذي يعانيه...

في هذه الأثناء وبينما الرجلان عائدين وقد شعرا أنهما قصرا أيما تقصير في حق صديقهما أيوب... فأخذا يتعاتبان ويتجادلان فسمعهما شاب كان يسير بالقرب منهما فدنا منهما وسألهما عن سبب ذلك الجدال والعتاب... فقصا عليه ما كان بينهما وبين أيوب صديقهما ذلك المريض المسجى بعريشته خارج المدينة، فقال لهما الفتى وقد كان يعرف بمرض أيوب وزاره من قبل مرات قليلة وكان قد آمن بأيوب نبياً... لقد قلتم له أيها الكهلان كلمتكما ولكنكما تركتما من القول أحسن من الذي قلتما... وتركتما من الرأي أصوب من الذي رأيتما... ومن الأمر أجمل مما أتيتما...

ألم تعلما أن أيوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الأرض... ثم ماذا أدراكما بالغيب فقررتما أن الله سخط على أيوب فأتاه ما آتاه من ابتلاء؟ وكيف علمتما أن الله نزع عن أيوب شيئاً من الكرامة؟ ولئن كان ابتلاء أيوب هو الذي أذرى به عندكما ونزع به منزلته لديكما فاعلما أن الله يبتلي النبيين والصديقين والصالحين وليس أبداً ابتلاؤهم دليل سخطه عليهم ولا هوانهم عليه وإنما خيرة وكرامة لهم...

لقد آخيتماه وعرفتماه فكان أجمل بكما أن تواسياه عند البلاء ولا تعيراه بالمصيبة... ولا تعيباه بما أصابه بل ترحمانه وتبكيان معه وتستغفران له وأن تحزنا لحزنه وتدلانه على أرشد أمره...

فنظر الرجلان إلى هذا الفتى الذي علمهما ودلهما على الخير وهو الشاب وهما الكهلان، فعادا إلى أيوب لعلهما يطيبان خاطره ويقولان له ما قد

يزيل من نفسه ما اقترفا في حقه... فلما رآهما أيوب نظر إليهما وقال: لقد رهبتما قبل أن تسترهبا وبكيتما قبل أن تُضربا... فماذا لو قلت لكما تصدقا عني بأموالكما وقربا عني قرباناً، لعلّ الله يتقبل منكما فيرضى عني؟ فلو صدقتما لوجدتما أن لكما عيوباً سترها الله عليكما بالعافية التي ألبسكما إياها...

لقد كنتما فيما سبق توقرانني... وكان كلامي مسموعاً لديكما وكان حقي معروفاً عندكما... وكنت منتصفاً من خصمي والآن أصبح لا رأي لي لديكما ولا كلام مسموع لي عندكما فأنتما اليوم أشد عليَّ من مصيبتي... ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم ولياً وللأرملة قيماً.

وكأنما خجل الرجلان مما قالا فنكسا رأسيهما وآثرا أن يتركا أيوب وحده.

فلما صار أيوب وحده وتفكر في أمره... فها هو بعد أن طرد زوجته ليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق فخرَّ لله ساجداً وناجى ربه فقال: إلهي أنا عبدٌ ذليل... إن أحسنت فالمنة منك... وإن أسأت فبيدك عقوبتي... لقد وقع عليَّ يا ربي بلاءٌ لو نزل على جمل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي؟ لقد تقطعت أصابعي... وتساقط لحم جسدي... وتساقط شعر حاجبيّ فأصبحت كأنما أحرق بالنار وجهي.

ذهب المال فأصبحت أسأل يكفي وأصبح من كنت أطعمه يعطيني اللقمة يمنُّ بها عليّ... هلك أولادي ولو بقي واحدٌ منهم لأعانني على بلائي... قد ملني أهلي... وعقني أرحامي... وتنكرت لي معارفي... ورغب عني أصدقائي...

وقطعني أصحابي... جحدت حقوقي... ونسيت صنائعي... دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لأمتي فلم ترحمني... إلهي... أنت أعلم بي من نفسي... وإنه لا يعجزك شيء فلا تخفى عليك خافية... ولا تغيب عنك غائبة... فأنت تعلم ما يخطر على القلوب... ثم قال: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ}

فأوحى الله سبحانه وتعالى أن اضرب الأرض برجلك فلما فعل تفجر من تحت قدمه ينبوع ماء فأوحى إليه الله أن اغتسل به واشرب منه فلما اغتسل لم يبقَ من دائه شيء ظاهر إلا سقط أثره وأذهب الله منه كل ألم وداء وسقم وعاد إليه شبابه وجماله أحسن مما كان وأفضل مما مضى... وعندما شرب منه لم يتبق في جوفه داء إلا برئ منه وخرج، ثم اكتسى بحلة نزلت إليه من السماء...

وأخذ أيوب ينظر لنفسه وما حوله، ثم إنه جلس على مكان مشرف ينتظر زوجته فلما جاءت إلى المكان أخذت تدور وتبحث فيه عن زوجها المريض المسجى لا يستطيع حراكاً فلم ترَ في المكان إلا ذلك الرجل المهيب الجالس هناك فاستحت أن تحادثه... وأخذت في بحثها تدور هنا وهناك عندها ناداها أيوب قائلاً: ماذا تريدين يا أمة الله... فاقتربت منه رحمة، ثم أنها أخذت تبكي وأيوب ينظر إليها... فقال: ما يبكيك...؟ قالت: لقد طردني زوجي، لكني لم أكن لأدعه وحيداً حتى يموت جوعاً وعطشاً وهو المريض الذي لا

يستطيع حراكاً، فقلت والله لأرجعن فلما رجعت لم أجده... وليست هذه هي حالة المكان الذي تركته عليها... فقال لها أيوب ماذا تريدين؟ قالت: أريد ذلك المريض المبتلى الذي كان منبوذاً هنا في عريشة تحوطها الكناسة ولا أدري الآن أضاع أم ماذا فعل به... وبكت رحمة ثانية... قالت: هل رأيته إنه بعلي... قال: وهل تعرفينه إذا رأيته... قالت: وهل يخفى عليّ، ثم جعلت تنظر إليه وهي باكية وقالت: ما أشبهه بك لو كان صحيحاً، قال: أنا أيوب... لقد دعوت ربي فاستجاب لي، وأنا على ما ترين من الصحة والشباب... أوحى إليّ ربي أن اضرب بقدمك الأرض... ففعلت ما أمرني الله به... فإذا بالأرض يتفجر منها ينبوع ماء فاغتسلت به وشربت منه فذهب عني كل ما كنت أُعاني من مرض... وها أنتِ ترين ما أنا فيه من شباب وصحة... ثم إن الله أوحى لي أن أبري بقسمي الذي أقسمته حين وسوس إليك عدو الله إبليس فسخطت وضجرت من قدر الله... فأقسمت عندها أن أضربكِ مائة ضربة... ولذلك سوف أجمع الآن مائة قضب من الشجر خفافاً لطافاً فأجعلهم حزمة واحدة فأضربك بها ضربة واحدة وهكذا أكون قد بررت بقسمي وذلك رحمة من الله بي وبك حيث صبرت معي على البلاء...

فحين إذاً فرحت بما صار إليه حال أيوب فحمدت الله وشكرته وكأنما هي الأخرى عادت شابة تمتلئ صحة وعافية وإشراقاً... ثم بشرها أيضاً أيوب بما

وعده به الله بأن كل ما فقدناه من مال وولد سوف يعود إليه وبفضل الله ورحمته سيعطيني مثلهم معهم....

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾

عاش أيوب وزوجته رحمة بعد ذلك سنوات كثيرة ينعمان فيها بما أعطاهما الله...

بقرة بني إسرائيل

عاد الشاب إلى بيته غاضباً يريد أن يخرج تلك الشحنة من الغضب التي أصابته ولم يستطع أن يخرجها أمام عمه الذي زاره في بيته اليوم لأمر هام... هذا الأمر الذي كان يعلق عليه الشاب آمالاً عراضاً ويرسم معه لأيامه القادمة قصوراً وردية زاهية... كان هو الوريث الوحيد لعمه... وكانت لعمه ابنة جميلة ذهب ليطلبها من عمه للزواج... نعم إذا وافق عمه فقد أصبحت ثروة عمه كلها في يده... ولا يهم بعدها إذا كان عمه سيعيش بعد ذلك سنة أو عشر أو خمسين سنة، لكن عمه رفض بشدة... وأخبره أنه سيزوج ابنته من أحد وجهاء وأكابر بني إسرائيل...

هدم عمه برفضه القاطع قصور الشاب التي بناها سنوات هدمها في لحظة واحدة... وقتل الآمال العريضة التي كان يعلق عليها الشاب مستقبله كله... وأخذ الشاب يدور في غرفته غاضباً... لا يستطيع أن يفكر ولا يدري ماذا يفعل... لحظات الضعف عند بني آدم أوقات مناسبة لوسوسة الشياطين... استولى الشيطان على عقله ومشاعره ووجهه حيث يريد فوسوس إليه: إذا كان عمك قد رفض طلبك الزواج من ابنته وسيزوجها لغيرك فستضيع الثروة المنتظرة من الميراث سوف يعبث غريب بها وربما بعثرها وربما استولى عليها.... أنت تنتظر كل هذه السنوات أن ترث حقك وميراثك الشرعي وترسم مستقبلك وحياتك القادمة في ظل هذا الأمل البعيد أو القريب... فلا أهمية أبداً لقرب أو بعد رحيل عمك... وبزواجك من ابنته تكتمل لك السعادة ويصبح كل شيء بين يديك... الآن يأتي عمك ليهدم

كل أمل لك في الغد ويبقيك على ما أنت عليه فقيراً بائساً ضعيفاً بين القوم صغيراً بينهم.

تساءل الفتى محدثاً نفسه وكأنه يسمع من يحادثه... ولكن ماذا بيدي أن أفعل؟ ماذا أستطيع أن أفعل لأوقف كل هذا وأسترجع الميراث وأتزوج ابنة عمي؟ فأجابه صوت الشيطان يتسلل إلى كل كيانه...

الحل بسيط اقتل عمك...

فحدث نفسه مرةً ثانيةً فيه بصوت مسموع... أقتل عمي! أليس حلاً صعباً...؟!

وسوس إليه الشيطان مرةً ثانية: إذاً فلا تفكر ثانية في ثروة عمك ولا في الزواج من ابنة عمك... دعهما للغريب يتمتع بهما وتظل أنت هكذا الفقير الضعيف الصعير بين أفراد قبيلتك...

قال الشاب محدثاً نفسه: القتل... شيء صعب... ولكن في بعض الأحيان تضطرنا الظروف إلى فعل ما لا نرغب... إن عمي هو الذي دفعني إلى ذلك دفعاً برفضه القاطع الزواج من ابنته... ولكن إذا قتلت عمي وعرف الأمر فسوف أقتل بذنبه ولن ينفعني مال أو غيره وقتها...

وسوس الشيطان فلا بد له أن يتم الغواية قال: لن يعلم أحدٌ إذا أحسنت التدبير... وإن لي تدبيراً لك لن يشك معه أحد بك.... بل وستربح فوقها دية تدفع لك بموت عمك...

أكمل الوسواس الخناس والشاب مستسلم لما يقوله له فهو يصب في رغبة مكبوتة لديه لقتل عمه لا يعرف كيف يشبعها ولا يصيبه منها أدنى شر أو خسارة... قال الوسواس: سوف تستدرجه إلى مكان بعيد خارج حدود القبيلة، ثم بعد ذلك تلقي بجثته أمام قرية أخرى لقبيلة أخرى ويتحملون هم وزر القتل وتطالبهم أنت بالدية...

استحسن الشاب الفكرة وعزم على تنفيذها في الغد بدون تأخير أو تسويف... وفي اليوم التالي طلب الشاب من عمه أن يصحبه إلى بعض التجار في قرية أخرى ليضمنه لديهم كي يعطوه ما يريد من أنواع التجارة... فسار العم مع ابن أخيه...

الأول يريد أن يساعده في تجارته والثاني يضمر له شراً مبيناً وعندما ابتعد الاثنان عن حدود قريتهما انقض الشاب على عمه ولم يتركه إلا جثة هامدة... ثم وبكل دم بارد وبنفس لم يخامرها ذرة من ندم حمل الجثة عندما حل الظلام فألقاها أمام باب القرية المجاورة... والتي كان بينها وبين قريته عداوات وثأرات... لينتهي هنا الفصل الأول من تلك القصة العجيبة... قصة بقرة بني إسرائيل.

....

في صباح اليوم التالي... خرج الشاب من بيته قاصداً بيت عمه ليطمئن عليه وكأن شيئاً لم يكن... وحين أخبروه بغياب عمه منذ الأمس وأنه لم يبت الليلة الماضية في بيته خرج إلى ساحة القرية صائحاً واعماه... أين

عمي... لابد أن مكروهاً أصابه وطلب من أهل قريته أن يساعدوه في البحث عنه...

انطلق أهل القرية كلٌ إلى مكان وطريق يبحثون عن العم الضائع حتى وجدوه أخيراً جثة هامدة أمام القرية المجاورة... ووجدوا تجمعاً من حوله فقارب أهل القريتين على التشابك والعراك كلٌ يتهم الآخر بقتل ذلك الرجل... أما أهل القرية الأولى فقد صاح الشاب طالباً الثأر لقتل عمه من القاتل وأن تقوم القرية الأخرى بدفع الدية له...

وأما أهل القرية الثانية فأخذ كلُ واحد منهم بالقسم بأنه لم يقتله...

حارَ الجميع ووصلوا إلى نقطة كان لابد من قول حكيم ورأي سديد يمنع التقاتل والتناحر بين أهل القريتين... فإذا برجلٍ ذي هيبة في قومه ومسموع كلامه يأمرهم بالصمت جميعاً، ثم يقول: لقد نسينا أيها القوم في غمرة الغضب والعصبية وذكريات أليمة بين قبيلتينا وانحياز كل فريق منا إلى رأيه ورغبة كل فريق أن يلقي باللائمة عن ارتكاب تلك الجريمة البشعة على الفريق الآخر... أنسيتم يا قوم أن بين ظهرانينا نبي الله موسى... مالنا نحتكم إلى آرائنا وأهوائنا وبين يدينا هذا النبي العظيم... سوف نرسل إلى النبي موسى ليخبرنا الخير اليقين بأن يسأل ربه ليعلمنا من قتل هذا الرجل...

اتفق الفريقان إذاً أن ينتظر حتى يجيء النبي موسى ليحتكموا إليه الأمر...

جاء نبي الله موسى "عليه السلام" إلى القوم وهم مازالوا مجتمعين حول جثة القتيل فاستمع إلى أقوال هؤلاء وهؤلاء... وسألوه في نهاية مقالتهم أن يناجي ربه فيسأله عن القاتل... فناجى النبي موسى ربه وانتظر الوحي منه... وانتظر الجميع وهم معلقة عيونهم وقلوبهم بما سيقول النبي موسى... فإذا به يشير إليهم أن أنصتوا... ثم قال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فتعجب القوم وقالوا معترضين: يا موسى نسألك عمّن قتل فتقول لنا إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة أتتخذنا هزوا... ما علاقة هذا بذاك... قال موسى: هكذا أوحى الله إليَّ... ولابد أن ننفذ ما أمر به الوحي... ولا نقاش في هذا... أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين... فلما رأوا أنه لا مناص من تنفيذ أمر الله ووحيه بدؤوا في ممارسة عاداتهم في المراء والجدال، فقال بعضٌ منهم... إذاً ادعُ ربك يخبرنا عن عمرها... ما عمرها... فأوحى الله إلى موسى وأخبرهم بأنها بقرة... لا صغيرة ولا كبيرة هي وسط في عمرها بين الكبير والصغير...

ولم يكتفِ بنو إسرائيل بالسؤال الأول فانتفض نفرٌ منهم يسألون ثانية عن لون هذه البقرة... فأوحى الله إلى موسى أن أخبرهم أنها بقرة صفراءٌ فاقعٌ لونها... وكأنما عز على البعض منهم ألا يتساءلوا أيضاً فانبرى بعضهم ليسأل عن مواصفات أخرى للبقرة واختتموا قولهم بوعد أن هذا هو آخر سؤال توضيحي وأنهم إن شاء الله سيذبحون هذه البقرة بعد أن تكتمل المعلومات عنها... فأوحى الله إلى موسى أن أخبرهم أنها بقرة غير مهانة بالعمل في حرث الحقول... وأيضاً لا تستخدم لتدير ساقية تسقي الزرع...

واستحى بنو إسرائيل بعد ذلك أن يسألوا فماذا بعد كل هذه التفاصيل والتوضيحات... يجب عليهم أن يذهبوا الآن ليبحثوا عن بقرة عمرها لا بالصغير ولا بالكبير ولونها أصفر فاقع وهي بقرة غير مهانة فهي لا تستخدم لحرث الأرض ولا لري الزرع مسلمة من كل عيب أو ضعف أو نقص... وهنا ينتهي الفصل الثاني من حكاية بقرة بني إسرائيل بعد أن تركهم نبي الله موسى ليبحثوا عن هذه البقرة فيذبحوها، ثم يخبرهم بما يجب أن يفعلوه بعد ذلك لمعرفة من القاتل؟

....

بدأت رحلة بحث بني إسرائيل عن البقرة... فبدأ السؤال من قرية لقرية ومن مكان لمكان... حتى سمعوا بأنه في قرية كذا توجد بقرة صفراء فاقع لونها تسر من نظر إليها وهي هائمة سائبة في مراعي الله لا يملكها أحد ولا يستطيع أن يقتنيها أحد فتركها الناس ترعى حيث تشاء، وهم يتمنون أن تظل هكذا متعة لأنظارهم وفرحة لقلوبهم... إلا أن شاباً في مقتبل عمره استطاع أن يأنس إليها وتأنس له فسارت خلفه في طاعة وسكينة وحين وضع المقود حول رقبتها تركته وأخذ بزمام الحبل يسيرها فتسير طواعية وراءه متجهين إلى بيته... حيث كانت أمه في انتظاره فهو يذهب كل يوم في الصباح ليحتطب بمكان قريب عله يجمع بعضاً من أعواد الحطب يبيعها فيتعيش بثمنها حياته البسيطة هو ووالدته... وقد كان هذا عمله ودأبه... تشفق الأم عليه من جراء ما يلقى من عنت ومعاناة في تحصيل الرزق...

وحين عاد بالبقرة ذلك اليوم احتضنته أمه وهي ترى بقرة والده... والتي استودعها ذات يوم عند الله حين شعر بقرب منيته قالت الأم: هذه البقرة هي لك يا ولدي... استودعها أبوك عند الله قبل أن يموت... كان مشفقاً عليك وأنت صغير ضعيف من مؤنة رعايتها وإطعامها... فاستودعها لك عند الله وله من الثقة في الله أنه لن يضيعها وسترد لك يوماً... وها هو اليوم قد جاء... لقد كان أبوك يا ولدي رجلاً صالحاً... يؤدي فرائض الله ويعبده حق عبادته ويوحده حق توحيده... كان تقياً لله في معاملته لأهله والناس... راضياً بما قسم الله له... وكانت له ثقة عجية بعدل الله ورحمته وفضله...

وأخذ الفتى يقص على والدته كيف أن هذه البقرة لم تستسلم وترضخ لأي إنسان وتستعصي وتهرب من كل من حاول أن يروضها تقنيتها إلا أنه عندما اقترب منها آنسته وتمسحت به... ووضع حبل المقود حولها وهي مستسلمة وكأنما تقول خذني...

ثم اقترح الشاب على أمه أن يذهب بها للسوق ليبيعها ليتعيشا من ثمنها ويرتاح قليلاً من كد وتعب الاحتطاب كل يوم بقروشه القليلة فوافقت الأم بقلب الأم الرؤوف بولدها ترجو أن ينال قسطاً من راحة البدن واطمئنان النفس بالرزق لكنها اشترطت عليه شرطاً ألا يوافق على ثمن لبيعها إلا إذا وافقت هي وأذنت له... فكان ما أرادت...

ففي اليوم التالي استأذنها للذهاب إلى السوق ليبيع البقرة فأذنت له إلا أنها اشترطت عليه أن يبيعها بثمانية دنانير لا تزيد ولا تنقص... فلما كان ذاهباً

إلى السوق اعترضته ملك من ملائكة الله الكرام في صورة رجل فسأله هل يبيعها وعرض عليه عشرة دنانير... قال الشاب: حتى أستأذن أمي فلقد أمرتني أن أبيعها بثمانية... قال الملك: لا ضير أعطِ لأمك الثمانية واحتفظ أنت لنفسك بالدينارين... رفض الشاب... وقال ما كنت لأخلف وعدي لأمي وما كنت لأكذب عليها... وتركه وعاد إلى بيته وقص على أمه ما حدث.

وفي اليوم التالي استأذن أمه أيضاً للذهاب للسوق ليبيع البقرة فأذنت له وقالت: ولكن لا تبعها إلا بعشرة دنانير لا تزيد ولا تنقص... وبينما هو ذاهب إلى السوق حدث له ما كان بالأمس فاعترضه الملك في صورة نفس الرجل وعرض عليه شراءها باثني عشر دينار... فرفض الشاب وقال: ما أنا ببائعها إلا بعشرة كما أمرتني أمي... قال الملك: لا ضير أعطها العشرة واحتفظ لنفسك بالدينارين... قال الشاب: لم أكن لأخلف وعداً قطعته عليَّ أمي وما كان لي أن أكذب عليها... وتركه وعاد إلى بيته.

في اليوم الثالث استأذن الشاب أمه للذهاب لبيع البقرة فأذنت له... لكنها هذه المرة قالت كلاماً عجيباً... قالت: شعورٌ داخلي يا ولدى يحدثني أن الرجل الذي قابلك في اليومين السابقين إن هو إلا ملك أرسله الله إلينا ليخبرنا بشيء بشأن هذه البقرة المباركة... إذا قابلته اليوم يا ولدي فاسأله بكم يجب أن نبيع هذه البقرة إذا أراد أحدٌ شراءها...

فلما قابله الملك هذه المرة لم يعرض عليه ثمناً لشرائها فلما سأله الشاب عن الثمن الذي يجب أن تباع به هذه البقرة قال له الملك قولاً غريباً عجيباً... قال الملك: قل لأمك ألا تبيعوا هذه البقرة إلا إذا أعطوكم وزنها ذهباً... إن ثمن البقرة هو وزنها ذهباً... رغم غرابة وعدم توقع الإجابة التي سمعها الشاب من الملك إلا أنه نقلها لأمه كما سمعها من الملك... قالت الأم المطمئن قلبها إلى رحمة الله وفضله:

لقد صدق حدثي يا بني... هذا ملك من عند الله أرسله إلينا... وأوصت الابن ألا يبيعها إلا كما قال الملك إلا بوزنها ذهباً...

وفي اليوم التالي كان ما أراد الله وقدر...

في بحث بني إسرائيل عن البقرة التي وصفها لهم النبي موسى ليذبحوها فتنجلي لهم الحقيقة ويعلمون من قتل الرجل الذي اختلفت فيه القريتان من القاتل الحقيقي... صادفوا الفتى ذاهباً ليبيع البقرة فأخذوا يفحصونها فإذا هي مستوفاة لكل شروط النبي موسى فهي صفراء فاقعٌ لونها لا عيب أو خدش أو نقص بها... لا هي صغيرة السن ولا كبيرة... لا هي مهانة مسخرة تحرث الأرض ولا هي تسقي الزرع... إذاً... هذه هي... لقد وجدوها... فهم على استعداد أن يدفعوا فيها ما يطلبه هذا الشاب صاحبها... فأخذوا يساومونه ويزيدون وهو يرفض ويقول لم تصلوا إلى ثمنها بعد...

ذهبوا ولكنهم تحت وطأة المشكلة ورغبتهم الأكيدة أن يعرفوا من القائل يعودون فيزيدونه فيرفض... فلما سقط في أيديهم سألوه عن ثمنها... فقال:

لن ترضى أمي ببيعها إلا إذا دفعتم لي وزنها ذهباً... الثمنُ غالٍ... والهدف من الشراء أغلى... تشاوروا بين رافض وموافق... إذاً... إذا كنتم تودون معرفة الحقيقة فشاركونا الثمن... تشارك أهل القريتين ليستطيعوا أن يجمعوا ثمن البقرة والذي هو وزنها ذهباً... فاشتروها من الشاب البار بأمه الصالح أبوه الذي استودعها لولده عند الله قبل وفاته فقبض منهم ثمنها وعاد لأمه به... وأخذوا هم البقرة وعادوا إلى ديارهم ليخبروا نبي الله موسى "عليه السلام".

....

وصلنا إلى الفصل الأخير من قصة بقرة بني إسرائيل... فها هما أهل القريتين قد تجمعوا حول جثة القتيل ووقف ابن أخيه بجانب الجثة باكياً شاكياً متحسراً... يردد أنه يريد العدل وأنه لابد له من أن يأخذ ديّة عمه... يبكي ويشكي وهو لا يعلم بما سيحدث... هذا ما أظهره للقوم من حوله...

بينما في نفسه تتنازع أمور كثيرة وهواجس مخيفة أن ينكشف أمره فتدخل نبي الله موسى في الأمر لابد وأن يوصل إلى الحقيقة فهل يا ترى يتراجع... وكيف له ذلك وقد وصلنا إلى نقطة اللا عودة؟ فها هو نبي الله موسى قد أتى وأمرهم أن يذبحوا البقرة فذبحوها، ثم نظروا إليه منتظرين ما يأمرهم به... فناجى موسى ربه فأوحى إليه أن يأخذوا جزءاً من البقرة المذبوحة ويضربوا به القتيل... فتعجبوا... إلا أنهم لابد أن ينفذوا ما أمر به نبي الله... فأقبل حكيمهم والذي اقترح عليهم من قبل بحكم نبي الله موسى في الأمر... فنزع ذيل البقرة واقترب من القتيل، ثم ضرب به جثته...

كان القوم جميعاً مشدوهين متشوقين متلهفين أن يروا ما سيحدث... وكان ما حدث بعد ذلك عظيماً... كانت معجزة السماء... أراهم الله آية عظمى من آياته...

حين ضربت جثة القتيل بذيل البقرة بعثت بها الروح فأخذت الجثة في الحركة وسط دهشة وذهول الحاضرين، ثم تحرك نصفها العلوي فجلس القتيل والدم يسيل من جرح براسه، ثم حرك عينيه ورقبته ينظر من حوله وهم يراقبون في ذهول ما يقوم به، ثم توقفت حركته حين كانت في اتجاه ابن أخيه فنظر إليه وقال: هذا هو من قتلني... إن من قتلني هو هذا ابن أخي...

فحاول ابن الأخ أن يتسلل هارباً إلا أن من حوله أمسكوا به بقوةٍ فمنعوه...

ووجه القوم أبصارهم وأسماعهم بعد ذلك إلى القتيل لعله يقول شيئاً آخر أو يظل حياً فيقوم إلا أنه صمت وأغمض عينيه واستلقى كما كان من قبل لا حركة ولا نفس... عاد كما كان ميتاً...

وقلب الحاضرون النظر بعضهم إلى بعض وهم يرددون سبحان الله القدير... سبحان المحيي المميت... كل شيء في السماء والأرض ملكه... والأمر أمره... وتبادلوا فيما بينهم كلمات الإيمان بالواحد الأحد رب موسى...

فهل يا ترى يظل بنو إسرائيل على الإيمان والتصديق... لقد كانت معجزة كبرى وقبلها وبعدها قدم موسى من الآيات والمعجزات الكثير... ولكنهم في كل مرة يتناسون ويجادلون... ويمرقون من الإيمان... وهذا هو دأبهم...

قـــارون

إيه يا دنيا... إيه يا حظ... يا ليت لي مثل ما أُوتي قارون... لقد كان ذو حظٍ عظيم...

انتظر قليلاً يا صاحب الدعوة... أعلمت أولاً ما هي قصة قارون... أو علمت نهايتها... لقد قالها بعضٌ من قوم موسى حين رأوا قارون في موكبه الضخم الفخم الذي تنبعث منه وتفوح روائح الثراء الفاحش الطاغي الذي لم يروا له مثيلاً... فها هو فوق جواده المسرج بالذهب والفضة... وحوله عبيده وجواريه بالمئات متزينون بكامل الزينة ومتشحين بفاخر اللباس ومن جملة ما بالموكب وبهر به القوم الذين أخذوا يتابعونه هذا العدد الكبير من حملة مفاتيح خزائنه... كلٌ قد حمل ما يقدر على حمله من هذه المفاتيح... إيه يا قارون... كل هذه الأحمال مفاتيح للخزائن... فما بال الخزائن، كيف هي وماذا تحوي؟ فانطلقت ألسنة البعض منهم ممن يرجون الحياة الدنيا وقد بهرت عيونهم وهفت نفوسهم واستيقظت أحلامهم وراودتهم أمنياتهم أن يكونوا مثله أو جزءًا منه فقالوا ما قالوا.. يا ليت لنا مثل ما أُوتي قارون، ثم أتبعوا هذا التمني بجملة أخرى ظنوها تعبر عن الحقيقة، ولكنها غير ذلك إذ قالوا إنه لذو حظ عظيم، ولم يكن أبداً تمنيهم أن يكونوا مثل قارون هو خيرًا لهم... لقد كان لقارون ابتلاءً وشراً

ووبالاً عليه... ولم يكن أبداً ذا حظ عظيم أو حظ قليل... فما هي إذاً قصة قارون...

كان قارون من قوم موسى... من بني إسرائيل... وهو ابن عم النبي موسى... وكان ممن آمن بموسى... وأخذ عنه التوراة يحفظها ويرددها بصوت جميل حتى كان يدعوه الناس بالمنور... نظرًا لحسن صوته حين يتلو التوراة وجمال صورته ووسامته... ويقال أنّه كان ذا علم فإذا قيس علمه فهو الثالث في المرتبة بعد موسى ثم هارون... إيه يا قارون... لقد أوتيت الصحة والعلم وحسن الخلقة... ماذا تريد بعد... أتريد أن تكون نبيًا مثل موسى... أو وزيرًا للنبي مثل هارون... أم ماذا تريد أن تكون... كان يريد أن يكون أعلى من كل الناس... أفضل منهم... مترفعًا عنهم وعليهم حتى أنه كان يطيل ثيابه شبرًا تفاخرًا وتميزًا عنهم...

ماذا تريد يا قارون... وماذا سألت نبي الله موسى أن يدعو لك عند ربه... هل سألته أن يدعو الله لك أن تكون غنيًا... وبغض النظر عن السبب في هذا الثراء الفاحش الذي أعطاك الله إياه فإن رد فعلك كان مخيبًا للآمال... وكان عبرة وعظة لمن يعتبر...

لقد كان لقارون من حسن التصرف في التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب... هكذا وهبه الله تعالى ذلك العلم ففتحت عليه أبواب الدنيا فبلغ ماله ما بلغ حتى أن مفاتيح خزائن هذا المال يعجز مجموعة من الرجال على حملها مع أنها كانت من الجلود وحجم المفتاح فيها لا يزيد على

حجم الإصبع... أصبح لقارون ما يتعالى به على كل من حوله... أن يتطاول عليهم ويفخر... أن يستميلهم بماله ويسخرهم لما يريد...

يلتف بنو إسرائيل حول موسى وهارون... ويستمعون لما يقولونه لهم من حلال وحرام وأحكام الدين وأمور الشرع...

إذاً فسأجعل لي أنا أتباعًا من حولي... وسأعارض وأخالف ما يقول موسى... هكذا ذهب قارون مغاضبًا واعتزل موسى هو وأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي كانت بينهما وقارون يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم إلا تجبرًا وعتوًا ومخالفةً لموسى حتى أنه بنى دارًا بابها من الذهب... وجعل صفائح من الذهب في كل جدرانها... وأقام فيها كل يوم مآدب الطعام ومجالس المضاحكة والمؤانسة والسمر... فجذب أعدادًا من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويظلون عنده يحادثونه ويضاحكونه... ورغم عوامل الجذب التي افتعلها قارون ليلتف الناس حوله... إلا أن بني إسرائيل مازالوا يجتمعون حول موسى يستمعون له... ولمَّا أنزلت الزكاة على موسى أوجب على بني إسرائيل أن يدفعوا عن كل ألف من شيء شيئًا واحدًا... فعلى كل ألف شاهٍ شاهاً واحدة وعن كل ألف دينار دينارًا واحدًا... وسأل موسى قارون أن يؤدي الزكاة عن أمواله... فلما حسب قارون زكاته المفروضة عليه استكثرها فلم تسمح له نفسه بدفعها... فجمع من حوله من بني إسرائيل وقال لهم يؤلبهم ضد النبي موسى: إن موسى أمركم بكل شيء فأطعتموه والآن ها هو يريد أن يأخذ أموالكم فهل

ستطيعونه أيضًا... قالوا له: أنت سيدنا وكبيرنا والأمر إليك فأفصح لهم قارون عن شيء كان قد أعده وفكر فيه سلفًا وهو أن يجعل امرأة بغي تقذف موسى بنفسها ويغويها قارون بالذهب والمال فإن فعلت خرجت بنو إسرائيل على موسى فرفضوه وتركوه... فوافقت المرأة... فلما كان الغد جمع قارون بني إسرائيل وأرسل إلى موسى قائلاً إن القوم اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم أحكام دينهم وشرعهم... فجاء إليهم موسى وقام خطيبًا فيهم فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده... ومن افترى جلدناه... ومن زنى وليس له امرأة جلدناه... فإن كان له امرأة رجمناه فقام قارون بين القوم موجهًا حديثه لموسى وقال: وإن كنت أنت قال موسى: وإن كنت أنا...

قال قارون: إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي.

فقال موسى: ادعوها فإن قالت فهو كما قالت...

فدعوا المرأة فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة... أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء... فصمتت المرأة... ونظرت إلى وجوه القوم... ونظرت إلى قارون... فلما رأى موسى صمتها وحزنها أكمل فقال: أسألك بالذي فلق البحر لموسى وبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى أن تصدقي....

فلما ناشدها موسى بالله قالت في نفسها لأن أصدق الآن فلا أوذي رسول الله أفضل لي ولعلّ الله بهذه أن يكتب لي توبة.

فقالت: بل كذبوا... ولم يحدث ما ادعوا يا نبي الله... إنهم اتفقوا معي أن أدعي ذلك وجعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي... فلما قالت المرأة ذلك سقط في يد قارون وسكت الملأ...

إلا أن رجلاً كهلاً حكيمًا كان يرافق قارون دائمًا قال له (فيما بينهما): يا قارون لقد طغيت وبغيت وتجبرت وتكبرت وظلمت والله لا يحب الظالمين والله لا يحب المتكبرين والله لا يحب الفرحين... مالك وقد أنعم الله عليك بكل هذه النعم نسيت الله المنعم... ولم تؤد حق شكرها لله... استعمل ما وهبك الله من المال الكثير والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي تحصل بها الثواب في الدنيا والآخرة... تصدق على الفقير... وأَدِّ زكاتها التي كتبها الله عليك... استمتع ما شئت بها مما أباح الله لك من مسكن وملبس ومنكح... إن لربك عليك حقًا ولنفسك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا فآت كل ذي حقٍ حقه... أحسن إلى خلق الله كما أحسن الله إليك ولا يكون جُل همك أن تفسد في الأرض وتؤذي خلق الله...

فقال قارون متغطرسًا متكبرًا... ماذا تقول... إنما كل ما أوتيت مما تعلمون من الأموال والكنوز إنما كان على علم عندي لم يعطه الله لي إلا وهو يعلم أني أهل له... وأني أستحقه ولمحبته لي... ففي تقدير الله وعلمه أني أهل لذلك... وازداد وكثر أضعافًا مضاعفة لحسن تصرفي فيما أُوتيت.

قال الرجل... لقد أصابك ما يصيب أهل الغني من الغرور والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا... فلما انتهى الرجل من كلامه أخذ القوم يقلبون أبصارهم بين النبي موسى وبين قارون ينتظرون ما يفعل موسى بقارون بعد أن تبين للناس جميعًا كيف دبر قارون ليؤذي نبي الله موسى... فإذا بموسى يتجه إلى الله سبحانه يناجيه... قال: يا رب... إن عدوك قارون قد آذاني وأراد فضيحتي... وسبني... اللّٰهُمَّ سلطني عليه... فأوحى الله تعالى إليه أنه قد أُجيبت دعوتك فأمرُ الأرض بما شئت تطعك...

قال موسى: يا بني إسرائيل إن الله قد بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون... فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه إلا قليل... ثم قال موسى يا أرض خذي قارون ومن معه فأخذتهم إلى كعوبهم... ثم قال موسى خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم... فلما رأى قارون ومن معه أن الأمر جد وأن نبي الله قد سخر الله له الأرض يأمرها فتطيعه وأنهم هالكون لا محالة أخذ قارون ومن معه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم...

إلا أن موسى أكمل أوامره إلى الأرض أن خذيهم إلى جنوبهم فأخذتهم... ثم قال خذيهم إلى أعناقهم فأخذتهم... كل هذا وهم مازالوا يتضرعون ويناشدونه إلا أنه كان غاضباً مما اقترفوا معه فقال: خذيهم فانطبقت

الأرض عليهم، ثم إن بني إسرائيل أخذوا يتهامسون فيما بينهم بما سيفعل موسى بكل هذه الأموال والكنوز التي كانت لقارون...

فإذا بموسى يأمر الأرض أن تحضر دار وأموال وكنوز وخزائن قارون فإذا بالأرض تطيعه وتأتيه بها... فقال موسى للأرض وهم ينظرون خذيها... فأطبقت الأرض وابتلعت كل هذه الخزائن والكنوز. فلما انتهى الأمر ورأى القوم جميعًا كيف حلت نقمة الله بقارون وكنوزه.

ثم أن الله أوحى إلى موسى ألا أعيد الأرض لأحد بعدك أبدًا، فالآن حمد المؤمنون رب موسى رب العالمين فقالوا... لقد نصحنا لقارون وقلنا له لا تبطر ولا تبغي وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة...

أما الذين تمنوا مكانه من قبل وقالوا يا ليت لنا مثل ما أُوتي قارون فلقد أيقنوا الآن خطأ اعتقادهم وعلموا أن الله منجٍ أنبيائه وأوليائه كما نجّى موسى ومن معه وأنه سبحانه وتعالى يهلك أعداءه كما أهلك فرعون وهامان وقارون.

ثم إنهم قالوا وكأنهم يقرون برضائهم بما يقدر الله ويقسم كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾

صدق الله العظيم.

السـامري

لعن الله النفاق والمنافقين في كل زمان ومكان... كان السامري رجلاً من بني إسرائيل... وكان اسمه موسى... إلا أنه ينتمي إلى قبيلة تسمى السامرة... فأطلق عليه السامري...

وكان قومه يتخذون عجلاً يعبدونه من دون الله... ألا ساء ما كانوا يفعلون...

اتبع السامري النبي موسى "عليه السلام"... لكنه كان إيماناً ظاهرياً... كدأب المنافقين فإنهم يظهرون خلاف ما يبطنون... مازال قلبه مشرباً بعبادة العجل... وكان اتباعه لموسى "عليه السلام" وإيمانه برب موسى طمعاً في زعامة أو رئاسة...

كان يتميز بالذكاء والفطنة ودقة الملاحظة... تعلق بصره بالنبي موسى "عليه السلام"... يلاحظه في كل قول وفعل... دين جديد ونبي مُرسل... فليكن من حواريه المقربين فيحظى بمكانة مميزة ومختلفة عن الآخرين... منتظراً فرصة يصبح معها سيداً على القوم يُؤمر فيطاع وينهي فينصاع الآخرون له... لم تأتِ الفرصة بعد...

عندما نجّى الله نبيه موسى "عليه السلام" ومن معه من فرعون وجنده وانفلق لهم البحر يبساً فمروا... ثم عاد البحر مرةً ثانيةً بحراً هائجاً ابتلع فرعون وجنوده... لاحظ السامري شيئاً عجيباً وظن أنه ما من إنسان آخر بُصر ولاحظ....

لقد رأى بجانب النبي موسى "عليه السلام" رجلاً يمتطي جواداً... لقد كان شكله مختلفاً... مهاباً مضيئاً... وكان الجواد الذي يمتطيه أيضاً مختلفاً...

لاحظ أنه هذا الرجل دائماً ما يشير على النبي موسى "عليه السلام" فيتبع مشورته... لقد أراد النبي موسى أن يضرب بعصاه البحر حتى ينجو من فرعون وجنده فأشار إليه الرجل المهاب أن انتظر فانتظر... وبعدها أمره أن يضرب بعصاه البحر فانفلق البحر... وهكذا لاحظ السامري... وقاده ذكاؤه وفطنته أن هذا الرجل ليس من بني إسرائيل وليس أيضاً من بني آدم قال محدثاً نفسه... أرأيت كيف أنّ حافر دابته حين يضرب الأرض فكأنما تدب الحياة تحت حافره فتخضر الأرض الجرداء... وينبت الكلأ ويتغير شكلها... ثم فكر ملياً وقال: لابد أن يكون هذا ملكٌ مرسلٌ من عند الله يبلغ تعاليم الله إلى نبيه موسى "عليه السلام"... وقرر في نفسه أمراً... إن هذه الأرض التي وطأها جواد الملك بحافره فغير من طبيعتها هي أرض مباركة... تحمل سراً... سر الحياة...

انتظر السامري أن تأتي الفرصة ليقبض قبضته من الأرض التي لامس حافر جواد الملك تربتها... فقبضها واحتفظ بها لعله يحدث بعد ذلك بها أمراً...

....

لعن الله من أشرك به واتخذ من دونه آلهة يعبدون....

وتعساً لبني إسرائيل... فما أن أنجاهم الله وعبر بهم نبيهم موسى "عليه السلام" البحر وهم في رحلتهم إذ مروا على قوم أشركوا بالله واتخذوا من دونه أصناماً يعبدونها... فقالوا لنبيهم موسى "عليه السلام" اجعل لنا آلهة منظورة مثلهم... فنعبد الله كما يعبد هؤلاء... تعجب موسى... ألم تكن كل تلك الآيات والمعجزات التي عاشوها ورأوها رأي العين وآخرها نجاتهم من فرعون وجنوده... ألم يروا كيف انفلق البحر لهم اثني عشر طريقاً يبساً يعبر كل جماعة منهم على طريق... قال لهم موسى: إن هؤلاء القوم في ضلال مبين... إنهم يعبدون حجارة لا تملك لهم ولا لأنفسها نفعاً ولا ضراً... إنما زيّن لهم الشيطان أعمالهم... إن ربكم الله الذي يحيي ويميت... من بيده ملكوت السماوات والأرض... من بيده الأمر كله وإليه يرد الأمر كله... الذي أرسلني بالحق لكم ألا تعبدوا من دونه شيئاً... وأنِ اعبدوه وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير... أخزاهم الله... وعلموا أنهم ارتكبوا إثماً عظيماً حينما فكروا هكذا وطلبوا من نبيهم هذا الطلب...

ثم إن موسى "عليه السلام" استجاب لنداء ربه أن يذهب لملاقاة الله عند جبل الطور كي يعطيه الألواح التي فيها شريعة الدين من الحلال والحرام والأمر والنهي وقصص الأولين، فأوحى إليه الله أن يصوم ثلاثين يوماً ويطهر جسده ويطهر ملابسه... ثم يذهب لملاقاة الله... وكان معه الملك جبريل "عليه السلام" على جواده يرشده ويدله على الطريق لملاقاة الله...

ثم إن موسى اختار سبعين رجلاً من صالحي بني إسرائيل ليصحبهم معه لملاقاة الله... واستخلف أخاه هارون بدلاً منه على بني إسرائيل خلال فترة غيابه...

وكأنما أيقظت هذه الحادثة في عقل وفكر السامري وأحيت في قلبه ما كان يعبد قومه من قبل... عبادة العجل... ولِمَ لا هكذا حدث نفسه... ها هم بنو إسرائيل ورغم كل معجزات نبيهم موسى ووجوده بينهم... ها هم يطلبون منه أن يجعل لهم أصناماً آلهة... ولكن أين الفرصة التي يستطيع أن يمتلك عقولهم فيسيرهم كما يشاء... متى تحين... هل غياب النبي موسى "عليه السلام" عن قومه واستخلاف هارون هي الفرصة والوقت المناسب... إن بني إسرائيل ينتظرون عودة موسى... ثلاثون يوماً يجب أن تمر... تمنى السامري ألا يعود موسى... تمنى أن يحدث له مكروه فيغيب... هارون ليس كموسى... فهو هادئ الطباع... يستخدم الكلمة والفكرة في الإقناع والمجادلة... وهو ليس الرسول المختار من عند الله... وها هي الثلاثون يوماً تمر ولم يعد موسى... فلقد أتمها الله لرسوله ونبيه موسى أربعين ليلة لملاقاته...

فلما رأى السامري أن موسى لم يعد... هنا... اكتملت الفكرة... لابد أن يفعل شيئاً وينتهز حيرة بني إسرائيل بأن يتخلوا عن الحلي الذهبية التي أخذها بنو إسرائيل معهم من أهل مصر فلما طاردهم فرعون وأغرق الله فرعون وجنده... وظلت الحليُّ عندهم..... إلا أن هارون حرمها عليهم. فأمرهم هارون لكي يطهروا أنفسهم منها أن يخلعوها عنهم ويلقوا بها في

حفرة ضخمة، ثم يضرموا بها النيران ليتخلصوا منها... فلما رأى السامري ذلك قذف قبضة التراب التي كان قد أخذها من أثر جواد جبريل "عليه السلام" وهو يتمنى في نفسه أن يتحول الذهب المشتغل إلى عجل ذهبي وأن يبعث فيه الحياة فيتحول الذهب من أثر قبضة التراب هذه إلى عجل ذهبي له خوار وكأنما أراد الله سبحانه أن تكون فتنة لبني إسرائيل فتحققت أمنية السامري حيث تمناها عندما ألقى قبضة التراب على الذهب المصهور فتحول الذهب في الحال إلى عجل ذهبي له خوار فقط خوار... فنادى في القوم... يا بني إسرائيل... هذا إلهكم وإله موسى قد تجسد لتنظروه بأعينكم وتعبدوه... فلما رأى ترددهم قال: لقد نسي النبي موسى أن يخبركم بذلك وها أنا أخبركم به... انظروا إليه... واستمعوا إلى خواره... وسأعلمكم كيف تقدمون له العبادة... وأخذ يأتي بحركات كالرقص وأصوات مبهمة يخرجها حين يخور العجل... وتبعه بنو إسرائيل...

إلا أن هارون تصدى له ولهم... وأخذ يعظهم... وينهاهم ويصدهم عما يفعلون ناصحاً... ومبيناً وموضحاً مدى الضلال والبغي الذي هم فيه... فاتبع هارون فريق منهم تاركين عبادة العجل... وبقي الفريق الآخر من الذين في قلوبهم مرض وإشراك... من الذين قالوا لموسى اجعل لنا آلهة كالتي يعبدها عبدة الأصنام الذين مروا عليهم... ويقودهم ذلك السامري... ذلك المنافق الذي كان يظهر الإيمان برسالة موسى... بينما كان لا يزال في قلبه إشراكه وما نشأ عليه من عبادة العجل...

كانت فتنة عظيمة... انقسم معها بنو إسرائيل إلى فريقين: فريق فقد عقله وضل سواء السبيل فتبع السامري في عبادتهم للعجل، وفريقٌ آخر ظل على إيمانه وتصديقه برسالة موسى ورب موسى وهارون وأولئك اتبعوا هارون وظلوا معه... وكان عددهم اثني عشر ألفاً... بعد أن كاد أتباع السامري أن يفتكوا به ويقتلوه... آثر هارون أن ينعزل بعيداً بأتباعه عن القوم الآخرين... فلقد خشي أن تحدث فتنة واقتتال بين بني إسرائيل فمن بين الفريقين كان في كل جانب الأب أو الابن أو الأخ أو القريب... إذاً فلينتظر حتى مجيء موسى بعد ملاقاته لربه لكي لا يغضب موسى ويقول له استخلفتك على بني إسرائيل ففرقت بينهم ولم تنتظر حتى آتي إليكم فأقول ماذا يجب أن تفعلوا؟

ظل الأمر على ما هو عليه من تفرق بني إسرائيل عشرة أيام حتى أكمل موسى ميقات ربه أربعين ليلة... وعاد ومعه السبعين رجلاً ومعه الألواح التي حملها ومدون عليها شريعة بني إسرائيل... فيما يأتون وما يتركون... وما هو حلال وما هو حرام... طقوس عبادتهم لله الواحد الأحد... وقصص عن الأوليين والأنبياء السابقين وماذا كان من أمر الأمم من قبلهم عظةً وعبرةً لبني إسرائيل... فلما اقترب موسى ومن معه من حدود المكان الذي به بنو إسرائيل وكان الله قد أوحى إليه من قبل أن بني إسرائيل قد ضلوا بعد أن تركهم سمع هو ومن معه ضجة وجلبة وأصوات غريبة ابتدعها السامري ورقصاً حول العجل كطقوس عبادة له...

ورغم أن موسى قد أُوحي إليه من الله له من قبل أن القوم قد ضلوا إلا أنه عندما رأى ما يحدث غضب غضباً شديداً وألقى الألواح التي كان يحملها... واتجه إلى أخيه هارون الذي سعى لاستقباله فأخذ برأسه وبلحيته وجذبه إليه بقوة معاتباً إياه قائلاً: لماذا تركتهم يا هارون يضلون هكذا... ألم أستخلفك فيهم... فهل أنت تتبعني وتأتمر بأوامري أم تعصيها وتترك بني إسرائيل في غيهم وضلالهم.

قال هارون: يا أخي يا ابن أم... لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي... لقد تفرق بنو إسرائيل فريقين... فأما الذين كانوا معي فلهم إخوة وأبناء في الفريق الآخر... واستضعفني القوم بل كادوا يقتلوني وأنا أنصحهم وأنهاهم عن ضلالهم وغيهم... وكاد الفريقان يقتتلان... ثم أني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل فانتظرتك حتى تشير عليَّ بما يوحي به الله إليك في ذلك...

قال موسى لقومه... بئس ما خلفتموني من بعدي... لقد وعدتكم بأني سوف آتي لكم بكتاب فيه شرعتكم... به ما يأمركم ربكم وما ينهاكم عنه... يبين لكم يه كيف تعبدونه وتقدسونه حق العبادة والتقديس... يا قوم إن ربكم الله خالق كل شيء... لقد كانت هذه فتنة وإنّ ربكم الرحمن القدير ذو العرش المجيد...

ليس هذا إلهكم أبداً إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً فلا يستحق العبادة إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له... فكل شيء فقير إليه... عبدٌ له... سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عددا فلا

يعزب عنه مثقال ذرة وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كلٌّ في كتاب مبين.

ثم قال للسامري... ما الذي دفعك إلى فعل هذا... قال... لقد ألقى في روعي عندما رأيت بجانبك رسولاً من عند الله يبلغك ويرشدك... ورأيت جواده كيف أن حوافره إذا لمست جزءاً من الأرض فكأنما بعثت فيه الحياة أنني إذا استطعت أن أقبض قبضة من أثر هذا الرسول فمن الممكن إذا ألقيت على شيء أحالته إلى ما يتمنى الملقى فكأنما هي كلمة كن فيكون... ففعلت وقلت حينها أُجرب ما ظننت فجربت وصدق حدسي وما أُلقى في روعي...

قال موسى... انظر إلى هذا الذي صنعت وقلت عنه إنه إله... فإني سائلٌ ربي أن يبعث فيه الروح فإذا بالعجل الذهبي يتحول إلى عجل طبيعي من جلد ولحم ودم ويتحرك ويخور فأمر موسى القوم فذبحوه... وأمرهم أن يحرقوه بعد ذلك فحرقوه فأصبح رماداً... ثم أمرهم أيضاً أن يذروه في اليم ففعلوا...

ثم قال موسى للسامري... أما أنت فعقابك ألا تمس أحداً ولا يمسّك أحد... فإن فعلت فسوف يتساقط عنك جلد جسدك... أذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً عند الله... يوم القيامة لتعاقب يه وتجزى بما كسبت يداك... ولا بد أنك ملاقيه.

فساح السامري في الأرض... يتحاشى الناس ويتحاشونه... آثر أن يعتزل الناس ويذهب بعيداً لا نعلم إلى أين ولكن الله يعلم... وانتهت قصة السامري هذا المنافق... ولكن حكايات وأخبار بني إسرائيل لم تنتهِ.

****

هـاروت ومـاروت

هاروت وماروت

ملكان من ملائكة الله الكرام.

والملائكة – كما تعلمون – خلق نوراني من خلق الله خُلقوا من النور... وجبلوا وطبعوا على الطاعة المطلقة لله... وعملهم الذكر والتسبيح والتحميد والتقديس والتحميد لله وحده وإذا كلفهم الله أمراً أطاعوه وفعلوا ما أمروا وهم لا يفترون ولما خلق الله آدم بقدرته وعلمه وحكمته فسواه ونفخ فيه من روحه أمر الملائكة بالسجود لآدم... فسجدت الملائكة انصياعاً وطاعةً لأمر الله ولم يسجد إبليس تكبراً وقال: أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين... عصى إبليس ربه... وأضمر في نفسه لآدم وذريته شراً ومكراً...

وعندما أسكن الله آدم الجنة... ثم خلق له من نفسه زوجه حواء ليسكن إليها وتسكن إليه... وأخذ آدم وحواء يعيشان في الجنة... ينعمان بكل ما فيها... إلا أن الله أمرهما ألا يقربا شجرة معينة واحدة فيها... فقط شجرة واحدة... فوسوس إليهما الشيطان... وأخذ يزين لهما المعصية... ويبرر لهما بأكاذيبه... وأمانيه الخادعة ما سيجنيان إذا هما أكلا منها... فأكلا من الشجرة المحرمة... وعصى آدم أمر ربه وغوى... ثم استغفر وتاب وأناب إلى الله...

ثم أخرج الله آدم وحواء من الجنة وأنزلهم إلى الأرض لتبدأ رحلة آدم ونسله في الأرض... رحلة لا يعلم مداها وما يحدث فيها إلا الله... فيها

الإنسان يعيش بما جبل عليه... لقد ألهَمَ الله أنفس بني آدم فجورها وتقواها فهي بالفجور والأفعال السيئة والشريرة والكفر والجحود وارتكاب الآثام... نهيط لتكون بمرتبة الشياطين... وهي بالتقوى والأعمال الصالحة والعبادات لله وحده والقربات إليه تصعد لتكون في مرتبة الملائكة..

تركيب رباني... خلقه وسواه بعلمه وحكمته وقدرته... وهو يعلم ولا يُسأل عما يفعل وجميع الخلائق يسألون...

قالت الملائكة... وهي تصف أفعال بني آدم في الأرض من إفساد وشرور وسفك للدماء... أنهم أي الملائكة على النقيض من ذلك يسبحون بحمد ربهم ويعبدونه ويقدسونه ويطيعونه... فكان القياس بحدود علمهم ومدى إدراكهم عجيباً... قال الله لهم: إني أعلم ما لا تعلمون...

حدود علمك يا إلهي عظيمة كعظمتك... ونحن المحدودون الضعفاء الأذلاء... الجهلاء... سبحانك لا علم لأحدٍ من خلقك إلا ما علمته... ولا فهم إلا لمن أفهمته وأنت العليم الخبير... أمر الله الملائكة أن يختاروا بعضاً منهم ليخوضوا تجربة النزول إلى الأرض... ولكن ليس كملائكة... إنما تركب فيهم الصفات البشرية.. ما جبل وطبع عليه بني آدم من الشهوة وغيرها... ولننظر كيف يفعلون... فاختاروا اثنين من أصلحهم وأعبدهم وهما هاروت وماروت... فأنزلهما الله سبحانه وتعالى إلى الأرض... اثنان من البشر بعد أن ركب فيهما ما يركب ببني آدم... وأمرهما أن يقضيا بين الناس

وكان هذا عملهما قضاه... وأوصاهما بألا يقربا المحرمات كالكفر والشرك وقتل النفس والزنا وشرب الخمر...

فنزلا ببابل... وجلسا يقضيان بين الناس... فذاع صيتهما وانتشر أمرهما وقصدهما الداني والقاصي... ثم إنهما بجانب القضاء بين الناس... كانا يعلمان الناس علوم السحر... ليس ليمارسه الناس ولكن لكي يحذروه ولا يصدقوا من يمارسه فيعلمان الناس ماهية السحر، ثم يتبعانه بالتوصية بأن من قام به ومن اتبعه ومن صدقه فقد كفر... وأن ما كتب السحر إلا الشياطين... إنها صنعتهم... يعلمونها للناس... وهي كلها إن اتبعت بدايتها ضرٌ ونهايتها كفرٌ...

هكذا يحذر هاروت وماروت من أراد تعلم السحر فيعرفانه طرق وأساليب السحر والفرق بينه وبين معجزات الأنبياء التي يختصهم الله بها ويهبهم إياها... وأن المعجزة الإلهية هي الحقيقة السحر هو السراب والتخيل... ويبينون لهم أن السحر ما هو إلا أداة للضر... فلا نفع فيه... كل ما فيه هو إصابة بني آدم بالضر في العيش والرزق والتفريق بين الأزواج... ليس به أي نفع أو خير... فكيف هو إذاً ولماذا الأخذ به...؟

ويؤكد هاروت وماروت في حديثهم للناس عن السحر أنه ما من ضرٍ يحدث لأي مخلوق إلا بإذن الله... فما كان السحرة بضارين به من أحد إلا بإذن الله... وتمر الأيام بهاروت وماروت في بابل متشابهة... يقضيان بين الناس... ويعلمان الناس خطورة السحر. وبأنه كفر ويحذرون ويعظون...

فأما عقلاء القوم وحكماؤهم فقد علموا الأمر وتدبروا جيداً نصيحة هاروت وماروت بأن السحر يؤدي إلى الكفر وأنه شرٌ كله... وضرٌ يصيب... وإلا أن كان فيه أدنى تقع فلم لا ينفع الساحر نفسه فيسعدها... ولمَ لا يدفع الضر عن نفسه فيسلم بصفة دائمة...؟ وأما السفهاء وضعاف العقول والنفوس... فقد خدعهم السحرة وأخذوهم إلى طريق بدايته خداع وبريق ونهايته امتثال لما يمليه عليهم الساحر الذي يتبع شيطاناً يضله ويجره إلى أفعال الكفر...

وتوارثت أجيال بعد ذلك الطريقين... فأما من هدى الله قلبه وأنار له بصيرته وعقله فقد اتبع رسل الله وصدق بما أنزل إليهم ورأى معجزاتهم الإلهية وفرق بينها وبين ما يرى مما يقدمه السحرة والمشعوذون أتباع الشياطين من خيالات وسراب..

ثم إن بعد ذلك بوقت طويل وفي زمان النبي سليمان حيث آتاه الله المقدرة على تسخير الإنس والجن والشياطين والوحوش والطير والريح... معجزات إلهية وملك لم يؤتِ لأحد من قبل ولا من بعد... فانتهزت الشياطين انبهار الناس بهذا الملك وتحير بعضهم في مصدره...فأوحت إلى أوليائها إشاعة أن كتب السحر التي كتبها الشياطين وما بها من أسرار هي التي مكنت النبي سليمان من أن يضبط الجن والإنس والشياطين والطير... وأشاعوا بينهم أنه ما ملكهم إلا بهذا، فأما علماء القوم وصلحاؤهم فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان، وأما الجهال والسفلة فأقبلوا على تعلمه ورفضوا

كتب أنبيائهم... فكأنما استبدلوا الحق بالباطل... والحقيقة بالسراب... واليقين بالوهم والخيال... وهكذا كانت رسالة هاروت وماروت مع علوم السحر... يبصرون ويحذرون... وسارت الأيام هكذا بهما إلى أن جاءهم الابتلاء والفتنة فماذا يا ترى كانت فتنتهم وما صنعوا فيها وما صنعت بهم فبينما هم يقضون بين الناس إذ طلعت عليهم امرأة... جمالها ساحر وسحرها فاتن... وكان اسمها زهرة... كانت ملكة في بلدها... وهي من أهل فارس... فلما رأياها تحركت فيهما نزعتها البشرية وتحكمت فيهما الشهوة التي ركبت ببني آدم...

فلم يلبثا إلا أن وجدا أنفسهما يراودانها عن نفسها ويبدوا أنها كانت تثق بجمالها وسحرها وتعرف ما يفعل وقلوب ونفوس الرجال فامتنعت عنهما... وانصرفت... وفي اليوم التالي حضرت إليهما... فحدث مثل ما حدث بالأمس رواداها عن نفسها فأبت ثم قالت: أوافقكما على ما ترغبان بشرط أن تصليا لصنم أعبده...

ما أقسى شرطك يا زهرة عليهما... فرفضا وقالا: الصلاة لغير الله أمرٌ عظيم وذنب كبير ولا نستطيعه فانصرفت... وفي اليوم الثالث أتت إليهما... واشترطت إن هما أراداها أن يقتلا نفساً بغير حق... فقالا مثل ما قالا بالأمس... قتل النفس أمرٌ عظيم وذنب كبير فرفضا... فانصرفت عنهما...

هما يرغبانها بشدة... وهي تريد أن تفتنهما... فكان اليوم التالي حين أتت إليهما ومعها كأس من خمر... واشترطت أن يشربا الخمر ثم بعد ذلك من

الممكن أن توافقهما على ما يرغبان... فقالا: شرب الخمر هين... وتحت إلحاح الشهوة وقوة سيطرتها... وافقا... فشربا الخمر... فانتشيا فواقعا المرأة... فرآهما رجل... فخشيا أن يفضحهما فقتلاه فلما أفاقا في المساء وتبدت لهما سوء فعلتهما... بعد أن ارتكبا مما حرمه الله عليهما الثلاثة أشياء... فشربا الخمر... واقترفا الزنا... وقتلا النفس التي حرم الله...

وهكذا يفتتن في الدنيا بنو آدم ويبتلون ويمحصون... حكمة الله في خلقه... لا نعلمها... ولا نستطيع إدراكها... وكلٌّ ميسرٌ لما خلقه الله له...

أخذ هاروت وماروت يستغفران ويتوبان إلى الله... وهما بالصعود إلى السماء فلم يستطيعا... فما كان أمرهما بعد ذلك...

اختلف العلماء... في كيفية جزائهما عما اقترفا إلا أن الأرجح خُيّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا أن يعذبا في الدنيا... فعمر الدنيا ولو طال إلى انتهاء يوماً ما... أما عذاب الآخرة فلا يعلمه إلا الله...

فقيل أنهما معلقان بين السماء والأرض لا يعلم حالهما إلا الله... وذلك إلى قيام الساعة... وفي الآخرة يقضي الله بأمرهما وهو العليم الحكيم...

هاروت وماروت... ملكان هما أم هما من البشر معلقان بين الأرض التي ينتمي إليها ويعيش عليها بنو آدم فقد عاشا فترة على هيئتهم وركب فيهما ما ركب بهم وبين السماء التي نزلا منها بعد أن كانا من الملائكة... فتنة... واختبار... وتجربة... وكلنا لله عبد... وكلنا تحت مظلة قدرته... وقدره... وحكمه... وحكمته... فسبحانك ربنا... سبحانك.

بلقيس ملكة سبأ

سبأ.... ماذا تعني الكلمة؟

سبأ... رجلٌ من أهل اليمن.... ولد له عشرة أبناء... استوطن ستة منهم أرض اليمن... وهاجر إلى الشام أربعة...

من هؤلاء الستة... كان ملوك المناطق باليمن... فسميت الأرض التي ملكوها مملكة سبأ...

تتابعت أجيالهم.... حتى كان من سلالتهم الملك البشرخ بن الحرث.... وهو أبو بلقيس... كان ملكاً عظيماً.... ودانت له ملوك اليمن أجمعين.... وكان يرى أنه ليس هناك من ملوك اليمن من هو كفؤ له ليتزوج إحدى بناته... في هذا الزمن الغابر... كان الناس يرون الحق ويخالطوهم فتزوج امرأة من الجن يقال لها ريحانه... وهي أم بلقيس... ولم تلد ريحانة لزوجها إلا بلقيس فقط... فلما مات... تحير القوم فيمن يرث ملكه... فهل يا ترى تكون امرأة ملكة لهم...

نعم... ولا... كانت بلقيس تملك من الجمال الأنثوي الساحر وجمعت إليه عقلاً راجحاً وحكمةً بالغةً ومنطقاً... فجمعت ملوك المناطق... وتحدثت إليهم... وطالبتهم أن يبايعوها... فلما رأوا رجاحة عقلها وحسن منطقها ومجادلتها بايعوها أن تكون ملكة عليهم خلفاً لوالدها... لكن قسماً منهم رفضوا تلك البيعة... فانقسم القوم فريقين... فنصف تحكمه بلقيس ونصف آخر يحكمه ملك رفض البيعة وانضم إليه آخرون...

فأما النصف الذي حكمته بلقيس فكان مملكة عظيمة مستقرة... راغدة العيش وإن لها ملوكها بما وجدوا فيها من حكمة ومقدرة على إدارة الأمور... وأما النصف الآخر فكان ملكه فاسداً بغى وطغى وظلم وارتكب المفاسد وأساء إلى رعيته واستعبدها فكرهوه ولجؤوا إلى الملكة بلقيس التي احتالت عليه وأوهمته أنها تريد الزواج منه... فلما أتى إليها قتلته... ففرح من كانوا تحت حكمه وبايعوا الملكة بلقيس ليكون كل مقاطعات اليمن تحت حكمها...

عندما أمرت الملكة بلقيس ببناء قصر منيف لها... فاختاروا له مكاناً فوق ربوة عالية وشيدوا قصراً عظيماً تحفة معمارية من الرخام وفي كل زاوية منه قبة من ذهب ويتصدرُ القصرُ مما يلي المدينة برجاً من الرخام بألوان مختلفة أبيض وأخضر وأحمر وزينت حوائط مجالسه بالذهب والفضة والجواهر...

ثم أمرت الملكة بلقيس بصنع عرش لها يكون أعجوبة الزمان وحديث الركبان... فصنعوا لها عرشاً عظيماً طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً، وكان مقدمه من ذهب مرصع بياقوت أحمر وزمرد أخضر، وأما مؤخرته فمن الفضة... قوائمه من ياقوت وزمرد ودر أصفر وصفائح سرير العرش من ذهب...

فأوتيت بلقيس هكذا حكماً مستبداً وجيشاً كبيراً... وخيرات اليمن... وطاعة وولاء ملوك مناطقه... وقصر تسكنه تحفة معمارية... وعرش عظيم أعجوبة زمانه... وتساءلت بلقيس وهي بين وزرائها عما كان يعبد آباؤها

وأجدادها فاخبروها أنهم كانوا يعبدون إلهاً في السماء... قالت كيف أعبده وأنا لا أراه ولا أعرف شيئاً عنه... لكنها حين نظرت إلى السماء فلما اشتد من الشمس نورها فقالت هي أولى بالعبادة فعبدت الشمس من دون الله وحملت قومها على عبادتها حتى أنهم كانوا يسجدون للشمس عند شروقها وعند غروبها... كانت هذه هي أحوال مملكة سبأ وملكتها بلقيس حين اطلع عليها الهدهد بينما كان يطوف الأجواء... فلما أحاط بما عليه حالهم هاله من أمرهم أمور تعجب لها ولم يستطع فهمها، أما الأول فإن امرأة تحكمهم هو أمر شاذ وغريب وأن هذه المرأة لها عرشٌ عظيم.

أما الأمر الآخر والذي استنكره تماماً وتمنى أن يخبر به النبي سليمان "عليه السلام" ليرى فيه أمراً فهو عبادة هذه الملكة وقومها للشمس ورؤيته لهم يسجدون لها عند شروقها وعند غروبها...

فكان لزاماً على الهدهد أن يخبر نبي الله سليمان حينما يعود إليه بما رأى... ولتبدأ قصة الملكة بلقيس ملكة سبأ مع النبي سليمان...

....

كانت دعوة نبي الله سليمان لربه دعوة يقف أمامها العقل كثيراً... هي دعوة في ذاتها هبة عظيمة من الله...

قال سليمان كما ذكره الله في كتابه الكريم:﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾.

فوهب الله له ملكاً لم يؤته أحداً من قبله ولا من بعده... إذ جعل له سلطاناً على الريح تجرى بأمره حيث أراد... وسلطاناً على الجن والإنس والطير والوحش فكانوا جميعاً رعيته وتحت إمرته يأتمرون بأمره وينفذون ما يريد... فكان إذا جلس مجلسه رأيت عجباً عن يمينه وشماله وبين يديه... رأيت صفوفاً من الإنس والجن والشياطين والوحوش والطيور... أشكالاً وأنواعاً... مُلك... مُلك يهبه الله لمن يشاء... الكل تحت طوعه وأمره... وهو ينظر إليهم يستعرضهم ويحادثهم... ثم يتفكر ويذكر ربه الوهاب فيحمده ويشكره... ويسجد له... شكر لنعمته... واعترافاً بفضله وامتثالاً لألوهيته وربوبيته... يريد أن يكون عبداً شكوراً...

وبينما كان سليمان في مجلسه يوماً... يستعرض من معه من كل صنفٍ وجنس... فلما عاين موضع الطير وجد مكان الهدهد فارغاً... فتساءل أين هو... ما كان للهدهد أن يغيب عن موقعه في مجلس ملكه... ثم استدرك سليمان وهو مازال في حديثه عن الهدهد... أهو موجود فلم تلاحظه عيناي... أم أنه غائب عن مجلسي دون إذنٍ وبغير عذرٍ... إذاً فإذا عاد... فسوف أذبحه أو أعذبه أو يكون له عذر غياب أقبله فأعفو عنه...

وقبل أن ينتهي سليمان من مجلسه إذا بالهدهد يأتي من بعيد فاستقبله النسر... وأخبره بما حدث وبوعيد سليمان له... ليذبحنه أو ليعذبنه... فلبث الهدهد قليلاً وقال: وهل استثنى نبي الله شيئاً... فأجابه النسر: نعم.. قال: أو

ليأتيني بسلطان مبين؛ فاطمأن الهدهد.. فإن ما عنده من خبر عجيب سوف يشفع له عند سليمان فاقترب في أدبٍ من سليمان وأخذ يرفرف بنجاحيه، ثم قال وكأنما يرد على تساؤل سليمان الذي طرحه من قبل كما جاء في كتاب الله: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾

ثم أكمل الهدهد وهو يبدي تعجبه مما رأى ويؤكد لسليمان إيمانه بالله وأنّ لا أحد من خلق الله ينبغي أن يسجد أو يعبد إلا الله. فقال كما جاء في كتاب الله تعالى:﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

تفكر سليمان... إن ما جاء به الهدهد لهو نبأ عظيم... ثم إنه من عظمته لهو أجدى أن يتحقق من صدقه وحدوثه، فقال سليمان للهدهد كما جاء في كتابه الكريم: { قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ٢٧ }... وأخذ سليمان يكتب كتاباً وجهه إلى تلك الملكة وقومها وكان خطابه موجزاً معبراً... فابتدأه بعبارة { بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ } ولم يكن أحدٌ قد

كتبها قبله... ثم أردف بكلمات قليلة أرجزت ما يريد أن يقول كما جاء في كتابه العزيز: { أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ }...
ما هذا الاختصار المعجز... لا تتكبروا... لا تتجبروا... لا تمتنعوا عليَّ... أدعوكم لتسلموا... لتبغوا ما أعبد... الله الذي لا إله إلا هو...
ثم أعطى الكتاب للهدهد ليذهب به إلى ملكة سبأ... فجعله الهدهد بجناحه... أو حمله بمنقاره... ليوصله إليهم... فأتى قصر الملكة بلقيس المنيع فدخل من النافذة وأخذ يرفرف حولها فترة حتى نظرت إليه وتعجبت من قدومه... فحينئذ اقترب منها وأسقط الرسالة لتستقر بيدها... ثم رفرف ثانية وأخذ ينحسب في هدوء إلى النافذة التي دخل منها فوقف عليها... كل ذلك والملكة بلقيس ترى وهي ذاهلة مما ترى... وفتحت الرسالة وقرأت ما فيها من إيجاز وإعجاز... ونظرت إلى الهدهد الرسول الذي حمل الرسالة فأوصلها إليها داخل قصرها... وانسحب في هدوء وأدب كأحسن ما تكون الرسل... ثم ما هذا الملك الذي يرسل طيراً رسولاً... وما هذه القوة والمهابة التي تحملها هذه الكلمات البسيطة... وما هو سر افتتاحية الكتاب التي تقول {بسم الله الرحمن الرحيم}... أي ملك هذا... من المؤكد أنه ليس ملكاً عادياً... وملكه ليس ملكاً كما تعرف... وربه الذي يعبده والذي أعطاه كل هذا الملك والقوة والمهابة... انتظر الهدهد برهة... فلما وجدها أرسلت لاستدعاء وزرائها ومستشاريها وملوك المناطق لتجتمع بهم... انصرف بعد أن أدى رسالته... اجتمعت بلقيس بوزرائها وأهل الحل والعقد في مملكتهم

فأطلعتهم على الأمر... وتلت عليهم رسالة سليمان... فتشاورا وقالوا كما جاء في كتابه الكريم: { قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ }

مازالوا يعتقدون بعظمة مملكتهم وقوتها وبأسها... وقوة وعدد مقاتليها... فتريثت بلقيس قليلاً... هي تدرك جيداً أن كتاب سليمان والرسول الذي أرسله به... وكلماته المقتضبة الحاسمة... كل هذا لابد أن وراءه ملكاً عظيماً وملكاً أعظم... وأنه ربما يكون ملكاً ونبياً من عند ربه... فأرادت أن تستوضح ما هي مقدمة عليه... وتتخذ خطوة أولية تبين لها الطريق الذي ستسلكه... فقالت لهم: إن هذا الكتاب من ملك بهذه القوة والعظمة إذا نحن عصيناه وامتنعنا عنه فربما أتى إلى بلادنا واستحلها وهزمنا... عندما سيفعل بنا مثلما يفعل الملوك إذا دخلوا بلداً أفسدوا فيها وأذلوا كبراءها وأمراءها وقادتها... ليثبت لهم الأمر وليدخلوا والهيبة والخوف إلى قلوب بقية الرعية... ثم أكملت... فليس لنا من الأمر إلا أن نرسل لهذا الملك العظيم الهدايا نسترضيه بما تفعل الهدايا الثمينة بالنفوس لعله ينصرف عن غزونا... أو يفرض علينا نوعاً من الجزية نؤديها إليه كل عام...

فاستحسن القوم رأيها السديد... ووجدوها كما عهدوها ذات عقل راجح... وتدبير محكم... ورأي سديد...

فأخذوا في إعداد هدية عظيمة من ذهب وفضة ويواقيت ووضعوا كل ذلك في علبة... وأرسلوا معهم خمسمائة من الجواري في ثياب الرجال وخمسمائة

من العبيد في ثياب الجواري بعد أن لقنوهم كيف يتصرف كل صنف بما يتناسب مع مهمته...

وانصرف الركب قاصداً بيت المقدس حيث توجد مملكة الملك سليمان... سار موكب وفقد بلقيس نحو بيت المقدس... وقبل الوصول إليه بيوم أو يومين أخبر الجن النبي سليمان بقرب قدومه... سأل سليمان عن أحوالهم والهدايا التي جلبوها له من بلادهم... فلما علم أنها من ذهب وفضة ويواقيت أمر الجن أن يموهوا الطريق إلى قصره فيجعلوه لبنة من ذهب ولبنة من فضة... ثم أنه أمر رعيته من جن وأنس ووحش وطير أن يصطفوا على جانبي الطريق فلما وصلت رسل بلقيس بهديتهم رأوا في طريقهم إلى قصر سليمان عجباً تضاءل معه كثيراً هديتهم التي كانوا فرحين فخورين بها وهم يرون الطريق الذي يمشي عليه الإنسان والحيوان ويروث عليه الخيل يتكون من لبنات من الذهب والفضة...

ثم أي عظمة ملك هذه التي يمتلكها الملك سليمان وهذه رعيته من الجن والشياطين والإنس والطير والوحوش... ومخلوقات لله عجيبة لم يروا مثيلاً لها قط.

وإذا كان لهم الخيار فسيختارون العودة مسرعين بلا شك ليخبروا ملكتهم بلقيس بما رأوا ويقدموا لها النصح بالانصياع والقدوم صاغرة لتقدم فروض الولاء والطاعة هي ومن تملك لهذا الملك العظيم ولتتبع دينه وتعبد ربه...

لكنهم رسلها... وما على الرسل إلا إتمام مهمتهم التي جاؤوا من أجلها... فلما استقبلهم النبي سليمان كان وجهه باشاً... ونبرته هادئة مرحبة... وضياء وجهه يغطي على من حوله... ليس هذا ملكاً كالملوك المعتادة... قالت لهم بلقيس تبصرهم... إذا استقبلكم متعالياً ومتجهماً وآمراً... ونبرة صوته غاضبة متكبرة فأعلموا أنه ملك مثلي... أما إذا استقبلكم بوجه طلق ونبرة هادئة واثقة... وله هيبة جاذبة آسرة... فاعلموا أنه نبي مرسل...

إذاً ليس سليمان ملك كملوك الأرض... إنه ملك نبي... هكذا تحدثوا إلى بعضهم... ثم قدموا له الهدية التي أتوُا بها وهم يرجون أن يقبلها... فلما نظر سليمان إليهم قال لهم: أتمدونني بمال... لقد أخطأتم... هي إذاً أمور غير المال ومتاع الدنيا وزينتها، وقال: ما آتاني الله خيرٌ مما آتاكم... ألم تنظروا وتدركوا عظمة ما آتاني الله وما وهبني من ملك لم يؤتِ لأحدٍ من قبل ولا من بعدي... عودوا إلى ملكتكم فأخبروها أني سآتي إليكم بجنود لا قِبَل لكم بهم ولسوف أخرج من مملكتكم ملوكها وقادتها وأعزتها... سنخرجهم منها أذلة صاغرين... ليس هذا ما طلبته منكم وأمرتكم به... إنها دعوة إلى الله الواحد الأحد... دعوة لتدخلوا في دين الإسلام الذي أتبعه... وتوحدوا وتعبدوا ما أعبد... هذا هو ما دعوتكم إليه فأخطأتم الفهم والحكم والتصرف... إذاً فسوف تجابهون بما لا قِبَل لكم به... وستأتون لتسلموا وأنتم صاغرون...

....

عندما عادت الرسل إلى الملكة بلقيس فأخبرها برسالة الملك سليمان... ووصفوا لها ما رأوا من عظمة ملكه وتفرده... وقوة ما يمتلك من جنود من الشياطين والجن والإنس والوحوش لم تضيّع الملكة بلقيس وقتها... فلقد كان في ذكائها وإدراكها ما جعلها تجمع ملوك طوائفها... قواد جيوشها... وجمع كبير من أكابر وأعاظم القوم... وجهزت كل ذلك ثم أمرتهم ببدء التحرك متوجهين إلى مملكة سليمان مسلمين له أمهرم... مقرين بسفه معتقدهم وباطل عباداتهم... عازمين على اتباع سليمان النبي فيما يدعو له من عبادة الله وحده لا شريك له في ملكه... الذي يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار.

إلا أن الملكة بلقيس أوصت بشيء هام... أوصت بأن يحفظ عرشها العظيم خلف سبعة أبواب... لا يطلع عليه أحد... ولا يمسه أحد... فلقد كان له في نفسها بعد أن صنعوه منزلةً وعشقاً... ففعلوا ما أوصت به... فجعلوه في مكان بالقصر مغلق عليه الأبواب ثم الأبواب ثم الأبواب...

....

اقترب موكب الملكة بلقيس الكبير المهيب من بيت المقدس... حيث أسرع نفر من الجن بإخبار سليمان باقتراب وصولهم... فأراد نبي الله أن يظهر لها بعضاً مما أفاء الله به عليه من الملك العظيم... قال "وهو يعلم عظمة صنعة عرشها ومكانته في نفسها" قال محدثاً من كان بمجلسه من الإنس والجن: أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين...

انتظر الجواب... فإذا بعفريت من الجن يتقدم فقال: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين، وكان سليمان يعقد بجلسة من الصباح وحتى زوال الشمس ظهراً... إذاً معنى كلام هذا العفريت أنه يستطيع أن يحضر هذا العرش القيم العظيم من أرض اليمن إلى بيت المقدس في عدة ساعات وأعطى الوعد لنبي الله سليمان أنه يستطيع أن يفعل ذلك بسهولة فهو من القوة من أن يفعل ذلك وهو أيضاً من الأمانة بحيث يحافظ على ما يتكون منه هذا العرش من كنوز من الذهب واليواقيت... عدة ساعات... اعتبرها سليمان مدة طويلة... إذاً من يتقدم ويقدم عرضاً آخر أسرع لإحضار عرش بلقيس... فانبرى رجل من الإنس... هو كاتب سليمان ويدعى آصف فقال... أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك... انظر يا نبي الله إلى شيء... وأمعن النظر إليه برهة...

وقبل أن يحيل نظرك عنه إلى شيء آخر فستجد العرش أمامك... ففعل سليمان... وما أن أنزل بصره فإذا به يشاهد عرش الملكة بلقيس تنشق الأرض فيخرج إليه في مجلسه أمامه... عندها قال سليمان معترفاً بفضل الله عليه شاكراً لأنعمه كما جاء في كتابه الكريم { **هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيَ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** }... سبحان من علم العلم .. ووهب الهبات والعطايا الربانية... فهذا الذي أحضر العرش في طرفة عين يملك من العلم اللدني الإلهي ما جعله يستطيع أن يفعل ذلك... ويقال أنّه استطاع ذلك لعلمه باسم الله

الأعظم الذي إذا دعي به أجاب... ها هو عرش بلقيس إذاً بين يدي سليمان... فأراد أن يفعل شيئاً يختبر به حكمه وذكاء الملكة بلقيس الذي ذكر لسليمان أنها تمتلكه... فأمر من حوله من الجن أن ينكروا لها عرشها... فأضافوا إليه بعض أشياء... وأخذوا منه بعض أشياء وغيروا أماكن أشياء أخرى...

ثم إن سليمان لما ذكر له أن الملكة بلقيس من رجل إنس وأم من الجن فإن لهما قدمين يشبهان حافر الحيوان وهو أمر عجيب... فأمر سليمان الجن أن يصنعوا له قصراً من الزجاج السميك ملتصقة ألواحه ومتماسكة تماسكاً جيداً وأمرهم أن يجروا من تحت ألواحه المياه... فإذا ما أحد دخل القصر ظن أن أرضه لجه...

وانتظر سليمان ومن معه قدوم الملكة بلقيس ومن يصحبها من ملوك وقادة وكبراء مملكة سبأ... فلما أن وصلوا إلى مجلس الملك سليمان تقدمت بلقيس إلا أنها عندما نظرت إلى أرض القصر الزجاجي ظنتها لجة... فكشفت عن ساقيها لتخوض المياه حتى تصل إلى عرش سليمان... فلما رأى سليمان ومن بالمجلس ساقيها وجدوها كأحسن ما تكون سيقان وقدم النساء... إذاً ليست قدميها كما وصفوها كحافر الحيوان... فقيل لها ادخلي الصرح فوقع بصر بلقيس على عرشها وظنت أنه ماء ولكن ليس هذا ماء... لكنه ألواح زجاجية أجرى تحتها فأطالت النظر متعجبة متفكرة... فقال سليمان لها: أهكذا عرشك... وانتظر الإجابة... فهل ستقول

أنه هو... ولكن ما طرأ عليه من تنكير... وكيف أتى إلى هنا... وهي التي أمرت أن يحفظ خلف سبعة أبواب مغلقة... وإذا لم يكن هو فإنه يقيناً يشبهه إلا من بعض تغيرات بسيطة... إذاً ماذا ستقول... أهو... أم لا....؟

قالت لسليمان قولاً يصدق ما أخبروه عنها من الفطنة والذكاء... والحكمة... قالت: كأنه هو... فأُعجب سليمان بذكائها... ثم إن سليمان دعاها عندئذ إلى عابدة الله عز وجل وحده وعاتبها في عبادتها للشمس من دون الله فأجابته إلى دعوته وقالت كما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى: **{قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.**

أسلمت الملكة بلقيس ومن معها... وأسلم رعيتها أجمعين بأرض سبأ حين عادت إليهم ودعتهم إلى ترك الضلال والكفر وعبادة الشمس وأن يعبدوا رب العالمين سبحانه وحده... ربها... ورب سليمان ورب العالمين...

ثم إن النبي سليمان وقبل أن ترحل بلقيس إلى ديارها قال لها سليمان: اختاري رجلاً من قومك أزوجك إياه... فقالت وكأنما فاجأها سؤال النبي سليمان: وهل لمثلي وأنت تعلم ما لي في قوم من الملك والسلطان... هل لمثلي أن تتزوج... قال سليمان: نعم... فإنه في الإسلام لا يكون إلا ذاك... ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله.

قال: فإن كان ولابد فأنا اختار تبع الأكبر ملك همدان فزوجه إياها... ثم إنها عادت وزوجها تبع إلى اليمن وجعل زوجها ملكاً على اليمن... وأمر سليمان أمير الجن باليمن أن يطيع ما يستعمله فيه تبع الأكبر فصار هو

ومن تبعه من الجن ينفذون ما يأمر به تبع من بناء المصانع والحصون والقصور.

وظل الحال ببلقيس والملك تبع هكذا ما شاء الله أن يكون... ثم لما مات سليمان وعلمت الجن بموته وهي لم تعلم بذلك إلا بعدها بعام... رفعت الجن يدها عن خدمة تبع... ثم إن ملك تبع وبلقيس انقضى مع انقضاء ملك سليمان...

فسبحان الحيّ الذي لا يموت... ذي القوة والجبروت مالك الملك والملكوت... الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء... سبحانه وهو العليم الحكيم.

****

قصة الخضر مع نبي اللّه موسى

وقف موسى النبي كعادته مع بني إسرائيل خطيباً فيهم فذكرهم بنعم الله عليهم وكيف أنقذهم من فرعون وجنوده واستخلفهم في الأرض فورثوا ما كان يملك فرعون وقومه وأن الله قد اصطفى نبيهم موسى وألقى عليه محبة من عنده وكلم الله موسى تكليماً... وأن الله أعطاهم كل ما سألوه وأعطاهم التوراة... كتاب الله يتلونه ويوجههم ويديهم وأخذ موسى يعدد نعم الله على بني إسرائيل فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا وذكرها لهم...

ثم قال: فبينكم أفضل أهل الأرض... وهو أعلم أهل الأرض... فقام رجلٌ من بني إسرائيل وقال لموسى: قد عرفنا الذي تقول! فهل هناك من أحدٍ على الأرض أعلمُ منك يا نبي الله؟ فقال موسى: لا...

ففي إجابته على السؤال لم يرد موسى العلم إلى الله صاحب الفضل والمنة... فبعث الله جبريل "عليه السلام" إلى موسى معاتباً وقال له: وما يدريك يا موسى أين أضع علمي... إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك... فسأل موسى ربه أن يريه إياه... فأوحى الله له أن اذهب إلى شاطئ البحر فتجد حوتاً فخذه وادفعه إلى فتاك، ثم الزم شاطئ البحر فإذا فقدت الحوت ونسيته في موضع فهناك تجد هذا العبد الصالح...

....

في سنوات التيه... ترك موسى قومه... واصطحب معه فتاه يوشع بن نون والذي كان ملازماً له دوماً لا يتركه... واتخذا طريقهما بمحاذاة شاطئ البحر يريدان مجمع البحرين... فلما عثرا على حوت في طريقهما والحوت يطلق على السمك... أخذه الفتى يوشع فشواه معداً إياه للأكل، ثم وضعه في المكتل وهو مثل السلة تحمل فيه الأشياء أثناء السفر والمسير؛ وقال موسى: سوف نسير حتى نبلغ مجمع البحرين وإن استغرق منها المسير عاماً أو أعواماً... فظلا سائرين حتى بلغا مجمع البحرين... نقطة التقاء بين بحرين... وعلى الشاطئ عندها كانت صخرة كبيرة... جلسا عليها ليستريحا من عناء السفر... فأخذت موسى سنة من النوم فنام... ووجد الفتى يوشع عين ماء فذهب إليها يغسل وجهه ويديه ويتوضأ ليزيح عنه آثار السفر... وبينما كان يوشع يغتسل تطايرت قطرات الماء من حوله فأصابت السمكة المشوية التي بالمكتل... فدبت فيها الحياة بأمر الله... فتحركت... وقفزت من المكتل إلى البحر... فلما نزلت تجمد الماء من حولها... ثم إنها كلما شقت طريقها في الماء تركت من حولها ماءً متجمداً.

فلاحظ الفتى يوشع ذلك وتعجب أشد العجب مما يرى... سمكة مشوية تدب فيها الحياة فتقفز إلى البحر... فتسير فيه بتلك الطريقة العجيبية...

وعندما استيقظ موسى أمر فتاه ليجمع حاجياتهم لينطلقوا مرةً أخرى باحثين عن الرجل الصالح... فقطعا شوطاً من الطريق حتى إذا انتصف

النهار وبدأ الجوع والتعب يأخذان منهما قال موسى لفتاه أحضر لنا غداءنا...

عندها... وعندها فقط تذكر يوشع ما حدث مع الحوت، ثم إنه نسي أن يخبر نبي الله موسى عنه... فقال معتذراً لقد نسيت أن أخبرك عن أمر الحوت... وقد كان أمر ما حدث له عجباً وما أنساني هذا الأمر إلا الشيطان... وظن يوشع أن موسى سوف يغضب أو يقرعه إلا أن موسى قال وكأنما وجد ضالة يبحث عنها زمناً... هذا ما كنت أبتغي أن يحدث... إنها العلامة على مكان الرجل الصالح... ما علينا الآن إلا أن نعود أدراجنا إلى حيث قفز الحوت إلى المياه فهناك يكون الرجل الصالح... فرجعا عائدين يتلمسان خطواتهما التي ساروها يقصانها... فلما وصلا إلى حيث سقط الحوت في البحر وجدا رجلاً يجلس هناك فوق صخرة يصلي وقد أخضر من تحت أقدامه المكان فانتظر موسى حتى فرغ من صلاته... فسلم عليه فأجابه فرد عليه السلام، ثم سأله من أنت: قال: موسى بن عمران، قال: موسى نبي بني إسرائيل... قال: نعم... قال وماذا تريد مني، قال موسى: أن تعلمني مما علمت رشداً... قال: لقد آتاك الله علماً وآتاني من لدنه علماً... وليس علمك كعلمي... فإني إذا علمتك فلن تستطيع معي صبراً... وأنى لك الصبر على أمور لم تؤت عنها خبراً وتفسيراً وإيضاحاً...؟ قال موسى: سوف تجدني إن شاء الله صابراً... قال: فإن لي شرطاً قبل أن تصاحبني وتتبعني... قال: ما هو؟ قال: لا تسألني

عن شيء تراه... فتتعجب منه وتندهش له فتسألني... شرطي ألا تسألني حتى أُوضح أنا لك وأُبين لك عن الأمر من تلقاء نفسي... قال موسى: قبلت وستجدني إن شاء الله على ما أرى صابراً ولا أعصي لك أمراً... فانطلق ذلك العبد الصالح والذي هو نبي الله الخضر يتبعه موسى على شاطئ البحر... حتى إذا مرت عليهم سفينة أشار الخضر إلى أصحابها بأن يكونوا معهم في السفينة... فأركبوهما السفينة ورفضوا أن يتقاضوا منهما أجراً... فلما كانا داخل السفينة عمد الخضر إلى قدوم معه فخلع به لوحاً من ألواح أرض السفينة فانطلق الماء داخلها فحاول موسى أن يسد الخرق الذي سببه الخضر بجزء من ثيابه... وقال للخضر معاتباً: كيف تخرق هذه السفينة الحديثة وقد أكرمنا أهلها ولم يتقاضوا منا أجراً وهؤلاء أصحابها مساكين يعتمدون عليها في تدبير أرزاقهم... أتريد أن تغرقهم...؟

فرد عليه الخضر مذكراً موسى بالشرط الذي اشترطه عليه في بداية اصطحابه له ألا يسأله عن شيء حتى يخبره الخضر أولاً بتفسير وإيضاح لماذا فعل ما فعل... وقال: لقد أخبرتك أنك لن تستطيع معيّ صبراً... فتنبه موسى وقال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً...

فطلب الخضر من أصحاب السفينة أن ينزلوهما إلى الشاطئ فنزلوا... وبينما موسى والخضر سائرين إذا بهما بمجموعة من الصبية يلهون ويلعبون فاختار الخضر من بينهم غلاماً بدا عليه الوضاءة والذكاء... وكان أنشط من

قرنائه ومميزاً بينهم... فناداه الخضر... ثم سار به قليلاً... فلما انفرد به ضربه بصخرة في رأسه فأرداه قتيلاً... فلما شاهد موسى ذلك لم يتحمل أن يرى ما يرى دون تعليق ومعاتبة وتساؤل... قال للخضر: كيف تقتل نفساً ذكية طاهرة... مثل هذا الغلام وذلك بدون وجه حق... لقد ارتكبت أمراً نكراً... أمراً ينكره العقل والعدل...

قال الخضر: للمرة الثانية إنك لا تحفظ العهد الذي أخذته عليك وقبلت به ألا تسألني عن شيء حتى أبينه أنا لك وأعرفك بسبب فعله... لقد أخبرتك أنك لن تستطيع الصبر على ما سوف ترى إذا صحبتني... اختار موسى ماذا يقول: لقد أعزى تساؤله الأول حين خرق الخضر السفينة إلى النسيان... فإلى أي شيء سيعزو هذه المرة تساؤله قبل أن يخبره الخضر بالسبب... إذاً... هكذا قال موسى للخضر: قال إن أنا سألتك عن شيء مما تفعل مرةً أخرى فانقض صحبتك لي ويكون الفراق بيني وبينك... إذاً هي مرة ثالثة ووحيدة إذا سأل موسى فسوف يكون الفراق... سار موسى مع الخضر حتى إذا قاربت الشمس على المغيب أتيا على قرية... وهما في غاية التعب وقد بلغ بهما الجوع مبلغه... وكانا على مشارف قرية... سلما على أهل القرية... وهما الغرباء... والبادي عليهما التعب والجوع ثم سألوهما المبيت والطعام فاعتذر أهل القرية أن يضيفوهما بالمبيت والراحة أو بإطعام الطعام... فأخذا يسيران بها والأبواب موصدة أمامهم... أي خبث طباع هذا وأي بخل

وأي فقر نفوس ذلك الذي صادفهم من أهل هذه القرية فلما وصلا إلى بيت مهجور على أطراف القرية... جلسا فيه يريدان الراحة وفي الصباح تبينا جداراً بالبيت مائلاً على وشك التهدم والسقوط... فما كان من الخضر إلا أن أسند يده على الجدار فاعتدل الجدار واستقام وبدأ وكأنما أعيد بناءه من جديد...

لم يصبر موسى أيضاً من هذا الفعل وبدأ في توبيخ الخضر الذي حذره منه في البداية حين أنبأه بأنه لن يستطيع معه صبراً... قال موسى متعجباً: أمثل هؤلاء القوم اللئام البخلاء الخبثاء... تؤدي لهم صنيعاً ومعروفاً هكذا فيقيم جداراً يوشك أن يسقط ويتهدم، ثم لا تأخذ على ذلك أجراً...

كان أحرى بك أن تتركه فلا تقيمه... قال الخضر: الآن حان وقت الفراق... لقد اشترط أنت على نفسك في المرة السابقة إن سألتني فحق لي أن أفارقك... إذاً فهذا فراق بيني وبينك... ولكني سأخبرك أولاً عن الأشياء التي لم تستطع عليها صبراً... أما خرقي للسفينة فإني أردت أن أجعل فيها عيباً فلا يصادرها منهم ملك ظالم كانوا سيمرون ببلدته وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصباً... فإذا عِيبت السفينة فسيتركها ولا يأخذها من أصحابها المساكين فتظل معهم يصلحونها بعد ذلك وسترزقون بها... وأما الغلام الذي قتلته فقد كان لأبوين مؤمنين وكان قد طبع يوم طبع كافراً فخشيت إن كبر وهو كافر أن يجعل حب والديه له أن يتبعاه في كفره أو أن

يرغمهما على الكفر... فكان قتله أولى... سيحزنان عليه قليلاً ثم يعوضهما الله بآخر أبر بهما مؤمناً مثلهما...

وأما الفعل الثلاث وهو إصلاح الجدار واعتدال ميله وإقامته مرةً ثانية فلأنه كان لغلامين يتيمين بالقرية وكانا أبوهما صالحاً وكان تحته كنز تركه أبوهما لهما... فأراد الله أن يبلغا أشدهما ثم يستخرجا كنزهما... فلابد وأهل هذه القرية بهذا اللؤم والخبث الذي رأيته فسوف لا يحفظونه لهم إذا انهار الجدار واكتشفوا الكنز الذي تحته....

فهكذا لا بد أن يستمر الجدار قوياً مُقاماً حافظاً للغلامين الكنز الذي وضعه تحته لهما أبوهما الصالح...

ولن أحدثكم عن ماهية الكنز... فهل كان ذهباً أم كان لوحاً من ذهب ذا قيمة بالغة وعليه حكمة وموعظة هي أغلى منه! فلقد كان مكتوباً عليه "بسم الله الرحمن الرحيم... عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن... وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح... وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها... لا إله إلا الله... محمدٌ رسول الله...

أي كنز هذا الذي حفظه الله لهما....

ثم بينما كان الخضر وموسى على وشك الفراق إذا بعصفور يطير بجناحيه أمامهما فينطلق إلى البحر... فينزل إليه ويغمس منقاره فيه، ثم يخرجه

ويطير ثانية، فقال الخضر لموسى: أرأيت كم أخذ هذا الطائر من ماء البحر... فإن ما لدي من علم وما لديك من علم وما علم الخلائق أجمعين إلى علم الله كما أخذ هذا الطائر من البحر... إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه... وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه... وإما فعلت ما فعلت ليس عن أمري وإرادتي ولكنه أمر من الله سبحانه وتعالى أن أفعله... ثم افترقا...

كان الخضر نبياً يوحى إليه من الله... وهو النبي الخفي... فلا يعلمه أحد... وآتاه الله من عنده رحمة... وآتاه علم الغيب فأي علم تنوء به هذا العلم... وهو من بني آدم... تسري عليه قوانين الله فيهم... عاش ما شاء الله له أن يعيش... وجاب في بلاد الله ما شاء الله أن يجوب... وأطاع أمر الله فيما أمره، ثم وافته المنية وغادر دنيانا إلى رحاب ربه تاركاً قصته المذكورة بالقرآن عظةً وعبرة وتذكرة لكل جيل يأتي بعد...

سبحان الله... مالك الملك والملكوت... علام الغيوب... يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون... وما لم يكن إذا كان كيف سيكون.

****

طالـــوت ملكا

طالوت... شاب بسيط فقير من بني إسرائيل... يمتد نسبه إلى بنيامين بن النبي يعقوب وأخو النبي يوسف "عليه السلام" يعمل سقاء ماء... يجلب الماء لمن يشاء فيحمله على حمار له نظير أجر زهيد...

بسيط... فقير... لم يؤت سعة من المال... ولكن الله عوضه ببسطه في العلم وبسطه في الجسم...

لم يسعَ إلى المُلك ولم يطلبه وحتى لم يحلم به...

لكن الله يؤتي المُلك لمن يشاء من عباده...

سبحانه لا شريك له في مُلكه ولا راد لحكمه...

أما حكاية تنصيبه ملكاً على بني إسرائيل فعجيبة... ووجب أن نعرف أولاً قصة النبي شمويل نبي بني إسرائيل... بعثه الله في بني إسرائيل بعد انقطاع النبوة عنهم سنوات طويلة... وهو الذي أوحى الله له بأن الملك الذي يطلبه بنو إسرائيل حينما قالوا له: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله...

كانوا شراذم متفرقة... أغرتهم الحياة الدنيا فانهمكوا في ملذاتها ومباهجها وابتعدوا عن شرع الله وأوامر الله ونواهيه التي جاءت في توراة موسى فأورثوا الوهن والذلة... وسلط عليهم أعداؤهم وطردوهم من الأرض المقدسة واستولوا على تابوت موسى وهارون وانقطعت عنهم النبوة أعواماً مديدة... فلما بعث الله لهم النبي شمويل بعد ما يقرب من أربعمائة سنة من وفاة موسى وهارون طلبوا منه أن يختار من أحدهم ليكون ملكاً عليهم فيجمع شملهم وينظم صفوفهم... ويوحد قوتهم ويرسم لهم طريق الوحدة

والقوة ويكون لهم جيشاً قوياً يحارب به أعداءهم فيدخلوا الأرض المقدسة ويستردوا تابوت موسى مرةً ثانية.

قال شمويل لبني إسرائيل... فإذا اخترت منكم من أُملكه عليكم فهل سترضون اختياري... وهل فعلاً سوف تتحدون خلفه وتقاتلون معه أعداءكم الجبارين وملكهم الظالم جالوت أم ستخذلونه وتنكصوا على أعقابكم وتقولون كما قلتم لموسى علين السلام من قبل اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون...

أجاب بنو إسرائيل بحماس... سوف نرضى باختيارك وسوف نقاتل معه عدونا... لقد أُخرجنا من ديارنا وأراضينا وأذاقنا هؤلاء الجبابرة الهوان والذل واغتصبوا نساءنا وقتلوا أبناءنا... واستولوا على التابوت الذي تركه موسى وهارون وهو الذي كنا نقوم على صفوفنا في معاركنا فننتصر ببركته وسره الذي وضعه الله فيه... أما الآن فإنا نخاف حتى من اقتحام المعارك وليس معنا التابوت...

قال لهم نبيهم: إذا أطعتموني وسرتم على الهدى الذي أقوله لكم ومعكم الملك الذي سأختاره منكم فسوف تنتصرون على عدوكم وتستردون التابوت وتدخلون الأرض المقدسة... وكان على شمويل أن يسأل ربه عن الرجل الذي سيختاره ملكاً وكيف سيختاره... فأوحى الله إليه أن هناك في المعبد عصا طولها هو مقياس طول الملك المختار... فأذاع ذلك في بني إسرائيل فأصبح كل من أراد أن يجرب يذهب إلى شمويل النبي فيقيس

العصا على طوله فلا يكون مثلها... وظل الأمر على ذلك... حتى جاء يوم... كان طالوت يسير كعادته في طرقات القرى ومعه حماره يحمل الماء... وفجأة ضل الحمار وأخذ طالوت يبحث عنه فلا يجده فأشار رجل من بني إسرائيل على طالوت أن اذهبْ إلى بيت النبي شمويل فاسأله عله يدلك عليه أو يدعو الله لك أن تجده وعندما دخل طالوت على شمويل... استشعر شمويل أن هذا الشاب قد يكون الشخص الذي يبحث عنه ليكون ملكاً على بني إسرائيل... فأحضر شمويل العصا وأخذ يقيسها على طالوت فكان مثلها تماماً... انطبق طول العصا على طول طالوت...

استبشر شمويل وطلب من طالوت المكوث عنده... وأرسل في طلب صفوة القوم من بني إسرائيل وحكمائهم ليطلعهم على ما حدث... فلما جاؤوا جميعاً ورأوا طالوت وعلموا نسبه... ورأوا رقة حاله وفقره وأنه لم يؤتَ سعة من المال اعترضوا... وكعادتهم على اختيار نبيهم... قالوا: كيف يكون طالوت ملكاً علينا وهو الفقير الحال... والضعيف النسب... إذا كان معروفاً لدى بني إسرائيل أن سبط النبوة فيهم من إخوة يوسف أولاد يعقوب هو سبط لاوي ومنهم موسى وهارون... وسبط الملك فيهم هو سبط يهوذا... ومنهم داوود وسليمان... وأما طالوت هذا الذي اختاره نبيهم فهو من سبط بنيامين... إذاً هكذا كان تصورهم وفكرهم واعتقادهم الموقنين به والذي توارثوه جيلاً بعد جيل...

اعترضوا إذاً على اختيار طالوت ملكاً... قال لهم نبيهم لست أنا من يصطفي... الله يصطفي من يشاء من عباده... ثم إن الله أعطاه صفات تناسب الملك... إن الله زاده بسطة في العلم والجسم... صفات القائد الحكيم والمحارب القوي وهذا ما تحتاجونه الآن... رجل بحكمته وعلمه يوحدكم ويرسم لكم طريق الانتصار... يهابه العدو ويخشاه... لم تقنع كلمات شمويل صفوة وحكماء بني إسرائيل... إذاً ما الحل؟ اقترح عليهم أن يتقدم كلٌ منهم من يرى في نفسه أنه مؤهل للملك بعصا من خشب يكتب عليها اسمه وتوضع تلك العصي في محراب الهيكل ويغلق عليها ثم في الصباح تفتح الغرفة ويفحصون العصي... فمن اخضرت عصاه وأنبتت فهو الملك المختار...

فلما كان الصباح وفحصوا عصيهم وجدوا أن العصا التي كتب عليها اسم طالوت هي التي اخضرت وأنبتت...

فوافقوا على الاختيار... لكنهم – وكعادة بني إسرائيل – اشترطوا أن تكون هناك علامة... آية... تؤيد اصطفاء الله لطالوت واختيار شمويل له ملكاً... فأوحى الله إلى شمويل أن الآية التي ينتظرونها هي أن التابوت... تابوت موسى وهاون والذي سلبه عدوهم منهم والذي يحتوي على الألواح التي كتبت فيها التوراة... وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة... وإذا بهم وهم في مجلسهم يرون التابوت آتياً يسبح في الفضاء طائراً لا يرون من يحمله فيحط التابوت وسط جمعهم... ووسط دهشتهم وانبهارهم... يقوم

حكماؤهم وكبار القوم فيهم والذين كانوا يعرفون التابوت جدياً فيفحصونه... ويعلنون وسط دهشة القوم وفرحتهم أنه فعلاً تابوتهم الذي فقدوه...

فتحلق القوم حول طالوت ينصبونه ملكاً عليهم مستبشرين بعودة الانتصارات... وارتفعت لديهم آمال الأيام القادمة وتغير حالهم الممزق المتردي المشتت الضعيف الذليل إلى أحوال العزة والنصر والمجد تحت إمرة الملك طالوت المصطفى المختار من عند الله...

بعد أن نصب طالوت ملكاً نادى في بني إسرائيل أن ينضموا إليه لتكوين جيش يحارب جالوت وجنوده... وقال ينضم إليَّ منكم كل شاب نشيط... ويستثنى فيمكث في مكانه الكهول والمرضى ومن عنده عذر ومن كان قد بدأ بناء ولم يكمله ومن كان له حرث يرعاه أو متزوج حديثاً ولم يدخل على زوجته ومن كان له تجارة يشتغل بها أو من كان عليه دين.

فتسابق إليه شباب بني إسرائيل وقد وثقوا في ملكهم وأعاد لهم التابوت الذي عاد إليهم ثقتهم في النصر...

فأخذ طالوت ينظمهم ويعدهم للحرب... وقال لهم نبيهم شمويل إن الله يأمركم أن تذهبوا إلى بيت المقدس لتدخلوها وتخرجوا منها القوم الجبارين...

فانطلق طالوت ومن معه وكانوا قد تجاوزا الثمانين ألفاً... وكان المسير في جو شديد الحرارة... فلما شعروا أن المياه التي لديهم لن تكفيهم لاستكمال رحلتهم سألوا طالوت أن يشفع لدى النبي شمويل ليدعوا الله أن يجري لهم نهراً يشربون منه ويسقون دوابهم ليتقووا ويكملوا المسير... فدعا شمويل النبي ربه أن يرجئ لهم أمراً فأوحى إليه أنه سيقابلهم نهر وقال طالوت لجنوده بأمر شمويل النبي إن الله مبتليكم بنهر وهو ابتلاء ليعرف مَنْ منهم حقاً قد امتلأ قلبه بالإيمان فيكون مسيره وجهاده وتعبه لله، فيطِع أوامر الله وأوامر النبي أو يعصِها... فقال طالوت فإذا مررنا بهذا النهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني واستثنى إلا من غرف غرفة بيده...

فلما وصلوا إلى النهر... سارع كثير منهم ليشربوا ويرتوا منه بكل قوة... أما الجزء الأصغر منهم فإنه اغترف غرفة واحدة شربها...

وما حدث بعد ذلك كان عجيباً... أما من اغترف غرفة بيده فقد كفته وروته ولم يعطش من وقتها إلى حين الوصول لوجهتهم بيت المقدس، وأما من شرب كثيراً وخالف أمر الله والنبي... فقد أسودت شفتاه وازداد عطشاً... وكلما شرب ازداد عطشاً... فلما أمرهم طالوت بتجاوز النهر والسير معه... سار معه الذين اغترفوا غرفة واحدة... وكانوا أربعة آلاف من الثمانين ألفاً فساروا معه واجتازوا النهر... وأما من شرب وهم الباقون فقد تقاعسوا

واثاقلوا إلى الأرض وجبنوا عن لقاء عدوهم وقالوا لنبيهم طالوت لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده... وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا الفتح معه...

أما الذين آمنوا وأطاعوا وهم موقنون أنهم ملاقوا ربهم وهم الفئة القليلة فقد قالوا: "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين...".

وكان من بين الفئة القليلة التي ثبتت مع طالوت وعبرت معه النهر أبو داوود عليه السلام مع ثلاثة عشر من أولاده كان أصغرهم داوود وقد كان فتى لم يبلغ مبلغ الشباب بعد... فلما سأله أبوه عن سبب ذهابه مع جيش طالوت قال داوود: يا أبتِ إنّ لي مقلاعاً ما صوبته على شيء قط إلا أصبته بدقة... وإني وأنا أرعى غنمي بين الجبال فما صادفني أسد إلا واجهته فركبت على ظهرة وأخذت بيدي هاتين دون سكين أو أداة فأمسكت بفكيه ففتحت ما بينهما فأوصلتهما إلى قفاه دون حديدة أو سكين... وأخذ داوود يقص على أبيه أيضاً كيف أنه وهو يرعى بين الجبال فيذكر الله ويسبحه بصوت مسموع إلا ويجد الجبال من حوله تردد تسبيحه معه... استبشر أبو داوود بما قصه عليه ابنه وقال له هذا خيرٌ أعطاه الله لك... وسوف يكون لك يا ولدي شأن عظيم هذا ما كان من خبر داوود مع أبيه حين أخذه معه في جيش طالوت وعندما وصل جيش طالوت إلى معسكر جالوت ورأى الجنود أعدادَ وعتادَ جيش جالوت في حين أن جيش طالوت عدد غير قليل... فقالوا لطالوت: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وارتدوا على أدبارهم

تاركين طالوت ومعه عدد لم يتجاوز الثلاثمائة وعشرين جندياً، ثم أنّ الجيشين لم يتقابلا فأرسل جالوت إلى طالوت أن يبرز إليه ليقاتله أو من يختاره من جيشه ليقاتله... وقال جالوت: فإن قتلني منكم ملكي وإن قتلته فلي ملككم فنادى طالوت في عسكره أنه من بارز في جالوت فقتله فسوف أزوجه ابنتي ويكون له نصف ملكي... انتظر طالوت جواباً فلم يجبه أحدٌ من عسكره... فهرع طالوت إلى النبي شمويل يسأله أن يدعو ربه أن يهيئ لهم من يقتل جالوت وقد كان من أشد الناس قوة حتى أنه كان من قدرته أن يقاتل جيشاً وحده...

وبعد أن فرغ النبي شمويل من دعائه إذا بداوود يبرز من بين الصفوف ويتوجه إلى طالوت ويقول له أنا أبارز جالوت وأقتله... قال طالوت له: هل لك أن تقتل جالوت... إذا فعلت ذلك زوجتك ابنتي وأجريت حكمك في مملكتي... قال داوود مؤكداً كلامه: نعم...

قال طالوت: فهل رأيت من نفسك شيئاً تقوى به على قتله...

قال داوود: أنا أرعى الغنم فيجيء الذئب أو النمر أو الأسد ليأخذ من غنمي شيئاً فأقوم إليه فأقبض عليه وأركبه، ثم أمسك بفكيه بيدي فأفتحهما إلى قفاه فأقتله وإن لي مقلاعاً لا أقذف به شيئاً إلا أصبته وأرديته قليلاً...

فأمر طالوت لداوود بفرس ودرع وسلاح... فلما امتطى داوود الفرس تقلد الدرع وحمل سلاحه وتسلل إلى نفسه الزهو فعاد سريعاً إلى طالوت فقال طالوت لمن حوله: لقد جبن الفتى، وقال لداوود: ما شأنك فقال داوود وهو

يتخلى عن الدرع والسلاح إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن ينصرني فما يغني عن السلاح شيئاً... اتركني أقاتل كما أريد... فقال طالوت: افعل ما تريد فأخذ داوود مخلاته وبها الأحجار فتقلدها ثم حمل مقلاعه ومضى نحو جالوت... وكان جالوت ذلك الغني القوى راكباً على فرس يماثله في القوة ومتقلداً درعاً ثقيلاً ويغطي قناع حديدي ومعه سيفل عظيم بتار... فنظر إلى داوود نظرة صغار وقال له: يا بني تأتيني بالحجر والمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر... قال داوود: نعم وأنت أشر من الكلب... فقال جالوت: لا جرم... فلسوف أقسم لحمك بين سباع الأرض وطير السماء...

فقال داوود: بسم الله وليقسمن لحمك بين سباع الأرض وطير السماء، وأخذ داوود حجراً من مخلاته ووضعه في مقلاعه وقال: بسم الله إله إبراهيم، ثم أدار داوود المقلاع ملياً وقذفه نحو جالوت فاستقر بين عينيه وخالط دماغه وانفجر الدم وخر جالوت من فوق فرسه صريعاً... فسار داوود إليه وهو مسجى في دمائه فجر رأسه وحملها معه وعاد بها فقدمها إلى طالوت وانهزم جيش جالوت لما قتل ملكهم وقائدهم وتراجعوا ليفروا هاربين وتبعهم الفئة القليلة من جيش طالوت المؤمنين وفرحوا بنصر الله لهم ودخولهم الأرض المقدسة بعد أن طردهم منها الجبابرة وانتهت أسطورة جالوت وجنوده وزوج طالوت داوود ابنته وكان في حكم بني إسرائيل... إلا أنه مازال هناك أعداءٌ متفرقة حولهم وفي الجبال يقاتلهم طالوت بين فترة وأخرى... وكان لطالوت عشرة من الأبناء... أخذهم معه للقتال في سبيل

الله فاستشهدوا جميعاً.. ثم إن طالوت استشهد بعدهم في أحد الحروب مع أعدائه المحيطين والذين كان يقاتلهم...

وورث داوود طالوت في حكم بني إسرائيل وآتاه الله النبوة أيضاً ومن النعم الشيء الكثير... ولذلك حديث وقصة أخرى...

****

محتويات الكتاب

إهداء.....5

نبي الله أيــوب.....6

بقرة بني إسرائيل.....22

قـــارون.....34

الســامري.....42

هـاروت ومـاروت 52

بلقيس ملكة سبأ 59

قصة الخضر مع نبي الله موسى.....74

طالــوت ملكا.....83

محتويات الكتاب 94

تم بحمد الله

قصص من القرآن
حكايات من القرآن
د. مصطفى فاضل الخولي

الطبعة الأولى
1443 هـ 2022 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879
00201030502390
E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.